كتابات قلب

كتابات قلب: مقالات وخواطر

الكاتب: أحمد صلاح سالم

إخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 27858 / 2019

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 090 - 4

Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع

E- mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم

01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / **49351**

9 789778 440904

كِتاباتُ قَلبٍ

-مجموعة من المقالات والخواطر-

الكاتِب

أحمد صلاح سالم

دار الزيان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

إهداء

إلى عمي فوزي سالم تغمده الله برحمته الواسعة.

مقدمة

"قد تكون مقالات وخواطر لشخص لم يتجاوز السابعة عشرة بعد؛ لكنها تتضمن عصارة روح وخلجات قلب دائمًا ما أرقه هذا العصر العجيب .قلب طالما بحث عن الاستقرار والاطمئنان في هذه الحياة..

أحس دائمًا أن ما يواجهه قد واجه غيره، وأن تلك الاضطرابات قد ثارت فيه مثلما ثارت في الكثير من الشباب والكبار.. كانت مشاعره تضطرم في قلبه وأفكاره تهتز في عقله، لقد حاول أن يبحث عن أي مُسَكِّن لكل هذا. لم يجد إلا أن يكتب.

وقد كتب فيما يبدو أمامنا مقالات وخواطر في الحياة والنفس والسعادة والموت وأشياء أخرى لا يخلو منها عقل إنسان.. وتلك الكتابات التي انبعثت بحرارة من القلب لن تميط اللثام عن كل تلك المعضلات التي فكر فيها هذا العقل وأحسها هذا القلب الصغير.

إنها كتابات قلب وستبقى للقلب؛ لأن القلب هو أملنا الوحيد في تلك الحياة التي استنزفت كل المشاعر.."

❋ ❋ ❋

لماذا اخترت الوحدة؟

ساعاتك الأكثر وحدة هي التي تظهر فيها قوتك النفسية، وهي الاختبار القاسي الذي يتعرض له الإنسان مبتعدًا عن أصدقائه وخلَّانه، ومبتعدًا عن عادات كثيرة اعتادها في وجودهم معه.. فوحدته تتحول بحياته إلى حياة أخرى، بعادات جديدة وبأوقات فارغة أكثر، وبتفكير في ملء هذه الأوقات واستئصال هذه العادات.

وهنا تكمن القوة النفسية، في أن يتحمل الإنسان عاداته الجديدة وحياته الجديدة غاضًّا طرف نفسه عن سابقتها. ومعروف أن أشد ما يكون على النفس أن تضعها فيما لم تعتده، والقوي ذو الإرادة من يستطيع أن يتكيف مع هذا الطقس الشديد.

والوحدة تنأى بنا عن تبادل المشاعر مع غيرنا والتمازج الرائع بين النفوس؛ فهي تضعنا في ركن سحيق من الدنيا حيث نحن فقط من

نُوجد فيه. فهنا تتحول أنت كمصدر مُستَقبِل للشعور والأحاسيس إلى مصدر مُوَجِّه لها، فليس هناك إنسان يمدُّك بالشعور والانسجام الذي اعتدته وبقي أن يكون هذا الإنسان هو أنت.. فتجعل من نفسك كل شيء وتحاول أن تسترجع ما فقدته من غياب الآخرين عنك. وفي هذا اختبار قاسٍ مرير أيضًا، فهو يضاهي أن تواجه طقسًا تحت الصفر عاريًا، أو تجلس في وسط النار. فالأمر لا يقل ضراوة وشدة.

والوحدة تضعك في فراغ عمن حولك، فالوقت القليل الذي كان يتبقى لك بعد لقائك بأصدقائك سيكثر ويتمدد ويشمل وحدتك المريرة. وتكون كعربة اعتادت أن تحمل كيلوجرامات وفجأة وُضِعَت فوقها أطنانٌ. فتبدأ بالتكيف وتُعَدِّل من نشاطاتك واهتماماتك وتسعى إلى شيء ما، تبلور حياتك حوله وتجعله غايتك الكبرى، ليندمل جرح وحدتك ونأيك عن الناس.

وفي ساعات الوحدة أشباح وهواجس الماضي، وبقايا حرائقك الداخلية، وصندوق شهواتك المستتر الذي قد تَخَفى شهورًا وشهورًا وأنت معهم.. كل ذلك يعود وتلوح أمامك تلك الأشباح والذكريات،

وهذا الصندوق يتفتح ليحرك فيك ما قد خَبَّأته كثيرًا.. وكأنك في صراع مع كل شيء وأنت وحيد، مع نفسك وذكرياتك وشهواتك وسطو العادة..

لقد وضعتك الوحدة في حرب وجودية، حرب تدور داخل ذاتك و"إنيَّتِك"، لا يُسْمَع فيها صليل السيوف ووقعها، ولا رماح الوغى الصاخبة وعَدْو الخيول المغبَّر.. إن بداخلك ملحمة عظيمة في غرفة هادئة، وكل الناس يقولون ما له صامت! ما له هادئ! وفي الحقيقة أنت تعيش حربًا لا تقل بأسًا عن الحرب الحقيقة..

أعلمت إذن لِمَ الوحدة تُظْهر قوة النفس وشدتها وتخلق من الإنسان إنسانًا آخر؟! بعض الناس لا يَقْدِر على أن يخلو بنفسه ولو لدقائق، بل يخاف أن يخلو بنفسه. فهو لا يعلم ما قد يحدث ولا يتوقع نتيجة مباراته مع نفسه، ولا يأمنها أن تفاجئه بتقريع وسخط ونقد لاذع على ما قد جنى من غلط.

وأن تتواجد مع الناس دائمًا ليس شرطًا للقوة النفسية؛ بل هو يحمل في طياته خوفًا من الوحدة.. خوفًا من اللقاء المرتقب مع نفسك، أن تكون أنت على مقربة منها، وتراها كما لم ترها من قبل.

أتحب أن تكون قويًّا؟ فلا تتواجد معهم مجددًا إلا بعدما تتواجد مع نفسك -فقط- بقدر كافٍ تعرفها فيه. وليس الاختباء دائمًا بدليل على الضعف، فمن يختبئ في نفسه قد يخرج أقوى ممن يصول ويجول بين الناس، ومن يتواجد في الواقع فربما يكون مختبئًا من وحدته ومن نفسه وهذا هو الهارب الحقيقي، هذا هو الضعيف.. الجبان.

أفكارٌ حول السعادة

فكرتنا عن السعادة ما زالت قاصرة، لم نعِ أصلها ولا كيف تكون. ربما نسعد ساعات، أو دقائق أو ثوان، لكن سبب السعادة خفيٌّ عنَّا ومحجوب..

لأن بنا اعتياد ألَّا نفكر كثيرًا، يكفينا أن نسعد ويكفينا أن نحس بالسعادة.

إلا أننا نلاحظ فيما نلاحظ، أن أشياء بعينها تسعدنا، تجعلنا نبتسم ونضحك ونحب أن نشارك تجربتنا السعيدة تلك مع كل الكون، فنكتب.. نرقص، نغني. كل هذه السعادة جزئية لأن المواقف التي تسعدنا هي جزء من حياتنا الكلية..

السعادة الكبرى تنتج من سعادة الجزئيات، لن تجد سعادتك الكبرى سائغة يسيرة؛ بل ستعاني حتى تنالها، لأن قبل أن تأتيك يجب أن تجعل كل الجزئيات التي تُكَوِّنُ السعادة متحققة... إنها أشبه أن تجمع ملعقة

من السكر وتضعها في كوب الشاي، قطعة سكر واحدة لا تكفي، بل يجب أن تضع قدرًا كافيًا وهذا القدر الكافي تشارك فيه القطع الصغيرة بدور كبير وإن لم نفطن لذلك.

في حياتنا كثير من الجزئيات الشبيهة بقطع السكر، لو تأملناها بهدوء، ونحن متفرغون من نداء البيئة وإزعاجها سنحس كأننا ملكنا الدنيا.. تخيل معي أنك حي، لن تجد غرابة في البداية، لكن أليس شيئًا سعيدًا أن تتكلم وتحس وتشارك الآخرين النشاطات وتعايش تلك الحياة البشرية بكل إبداعاتها وإنجازاتها؟!

حقًّا هو شيء عجيب ومدهش، لا يجعلنا فقط نحس بالسعادة؛ بل يجبرنا أن نبحث عن سعادة أكبر.. قد يظهر لكم الآن ما قصدت بالجزئيات في السعادة، الجزئيات هي شيء لم ندركه ولم نحس بوجوده لأننا منشغلون عنه، لا نلقي له بالًا...

لأن في ظننا أنها جزئيات ثابتة، ليس شرطًا أن تسعدنا، على الرغم من أن سعادتنا الكبرى تنتج من تلك الجزئيات الغائبة عن وعينا... هذا بدوره ينقلني إلى نقطة ثانية وهي: العادة تقلص السعادة.

أظن أنك فهمت لِمَ أنت لا تحس بسعادة الجزئيات، نعم لا تحس بها لأنك اعتدتها، وما تعتاده يفقد بريقه ورونقه بمرور الزمن، الأشياء التي بكيت عليها وأنت صغير وظننت أنها ستجعلك أسعد البشر، وبعدما أتت لك أخذت دفعة السعادة التي بها كأن السعادة كوب من العصير وارتشفته، ولم تَعُدْ سعادة في الشيء الذي بكيت عليه.

هذا هو الاعتياد الذي لا بد أن نواجهه. إن والدتك بجوارك، لكن تخيل معي لو غِبْتَ سنين عنها ولم ترها، وعدت لها، ستكون سعادتك كبيرة جدًّا، لماذا؟ لأنك فقدت وجودها -الذي كان معتادًا- بجوارك.

هذا يوقظنا لشيء مهم، وهو أن الأشياء السعيدة تحيط بنا جميعًا، هي حولنا، في كل مكان، لا تفتأ أن تنبهنا، لكن نحن مشغولون، مهتمون بتفاهات كثيرة، نظل نتساءل ونقول: أين السعادة؟ رغم أنها بنا وحولنا.

يجب أن تنهي أمر اعتيادك لما سيسعدك، لنجلس مع أنفسنا، ونحس عظمة أن تكون الأم بجوارنا، وعظمة أن تجد صديقًا يشاركك ضحكتك.. هي أشياء بسيطة في نظرك (السابق) لكن حاليًّا بعدما تعلم أن السعادة الكلية لن تكتمل إلا إذا كانت دقائق السعادة تمت، وصرت تشعر بها فيها.

والإنسان بطبيعته لا ينال شيئًا دفعة واحدة؛ لأن هذا يجعلنا نتهاون في الجزئيات، ولا نتقن سعادتها، ولا نوقف اعتيادنا لها.. لن تجد شيئًا يأتيك كاملًا متممًا، لأن الحياة مراحل، وكذلك سعادة الحياة تأتي على مراحل.. مراحل شاقة وعسيرة، لكن بمجرد أن تتقن المراحل الجزئية، ستصل لما هو أكبر. ووراء كل شيء سعيد سعادة أكبر، لكن كما قلت لن يعطيك أي شيء نفسه كاملًا في البداية، هي مراحل عليك أن تجتازها.. وهذا لصالحك.

ففي كل مرحلة من اجتياز الواقع المعتاد، والنظر إلى الشيء كما لو أنك أول شخصٍ يراه وأول شخص تسعد به، سترى معانيَ معينة فيه، توقظ شعورك، ويَثِبُ قلبك لها، ويدق دقات سعادة ووله.

والفكر مُحَرِّك حياتنا البشرية، القائمة على الفكر والعقل -وإن نأينا عنهم في حياتنا اليومية- والفكر يدير أمر سعادتنا بالمثل، كما يدير المحرِّك السيارة، فتجعلها تقاوم السكون وتشرع في الحركة.. وهذا هو دور الفكر، يشعل فيك السعادة لو أردت، ويطفئها إن أردت..

لا أعني بهذا أن ليس للأقدار عمل في السعادة. بل الأقدار تعمل ونحن نعمل، فأمر كالجزئيات الذي قلته بالأعلى نحن نعمل فيه بفكرنا وشعورنا، ونستورد منه السعادة.

واعتقاد الإنسان هو الذي يغير تصوره للسعادة، اعتقادك هو الإناء الذي تُصب فيه السعادة، الإناء قد يكون ضيقًا، قد يكون مثقوبًا.. قد يكون إناءً كاملًا لا عيب فيه، وكذلك الاعتقادات في أمرها.

فلا يجب أن تَقْصِرَ فكرك على أشياء بعينها، وتظن أنها جالبة السعادةَ ورغد العيش.. لأن انتكاستك إذا لم تجلبه لك ستكون كبيرة، وستشوش فكرتك عن السعادة.

فيجب أن تكون مرنًا، وتبحث عن السعادة في الشيء من داخله، لا من الطلاوات الخارجية.

فأن تسعد بكتاب مثلًا، هو أن تحس بروح الكاتب وتفاعله معك ورغبته النقية في إفادتك وتعليمك، هذا بدوره يسعد سعادة عظيمة، أما لو أخذت الكتاب مثلًا أنه يسلي ويضيع الوقت فستسعد، لكنها سعادة ضئيلة مقارنةً لو أحسست الكاتب أستاذك، وروحًا قريبة منك.

هذه هي السعادة تنشب في داخلنا، من فكرنا، من اهتمامنا بها، لأننا نراها ونريد أن نراها، ونبحث عنها ولا نودُّ أن نكف عن البحث، لأن حياتنا بدون السعادة قفرة وجدباء. ولا فائدة في أرض قفرة لم يأتها الماء.

والسعادة ليست شيئًا هيِّنًا جلبه؛ بل تحتاج إلى جهد مستمر وبحث دائم. وأضمن لك أنك ستسعد إن اهتممت بدقائق الأمور ولم تطلب من الشيء أكثر مما فيه، وإذا اعتقدت وحاذرت في اعتقادك وإذا لم تعتد كل شيء.

❋ ❋ ❋

الشعور بالسعادة

كيف نجلب السعادة لأنفسنا؟ وكيف نرضى عن أنفسنا ما تبقى من حياتنا؟

نستطيع أن نجلب السعادة بفعل ما يحلو لنا. نعم بفعل ما يحلو لنا وما نحبه ونشعر بالسعادة أثناء تأديته.. نتفق جميعًا أن ليست كل الأعمال التي نؤديها تجلب لنا السعادة؛ فبعضها يشعرنا بالملل وبعضها نحبه ونحب عمله دومًا.

إذا أين الاختلاف بين كل هذه الأعمال؟ الاختلاف سهل وبسيط ندركه بالبداهة. فما تحبه ستستمتع به، وما لم تحبه حتمًا ستسأم منه. وما من إبداع من كره وما من تقدم من سآمة وملل، فراقب من أبدع وأتى بالعجب ستجده كان محبًّا أولًا..

إذن فالسعادة تأتي بالحب ونستطيع أن نسعد أنفسنا بأن نحب أكثر.. فكلما أحببت عملك الممل ووجدت فيه منفذًا تستطيع أن تعبر المحبة منه

ستسعد. فالشعور بالسعادة مقرون بحب ما تعمل، وحري بنا أن نحب كي نسعد، فالكره إشارة سالبة دائمًا، وإذا أدخلتها على عملٍ لك فستزيده بؤسًا، وإن كان في أساسه يجلب السعادة والمتعة.

فحاذر شعور الكره ولا تضعه هباء، وتأنَّ في الحكم، فما سيقرره عقلك وفكرك تجاه عمل معين هو ما سيحدد في أي القوالب سيصير ذلك العمل، وهل سيصير ناجحًا أم لا. فلكلٍّ منا كامل الحرية في تصريف شؤونه وأفكاره وأعماله، وأيضًا في تصريف حبه وكرهه وبالتالي يستطيع تقدير مدى سعادته..

❋ ❋ ❋

أفكار حول عملية الكتابة

لم أبلغ في الكتابة الباع الذي أفتخر به، وأعترف أني لا أكتب هذه النصائح لنبوغٍ بي، لكن الكتابة مهمة وأحببتها وأُحِبُّ أن يُحِبَّها غيري، ممن يشغفون بالكتابة ويريدون تصوير مشاعرهم وأحاسيسهم، وكتابة ما يجول في أذهانهم ليراه غيرهم ويلتمسوا فيه شيئًا قيِّمًا يَمسُّ الإحساس.

لذا فإن كلمتي هنا ستكون من واقع تجربتي لا غير، وسأحاول أن أعرض بعض الأفكار الأولية عن الكتابة لمن يجد في الكتابة صديقًا له.

سنتحدث عن مادة الكتابة، وهي الأفكار والمشاعر. فالكتابة لا تأخذ شكلها المبهر إلا عندما تستند إلى حقائق، وإلى مشاعر نقية، يجلوها الكاتب أمامنا.

لذا إن أردتم الكتابة، فيجب أن تستوردوا مواد الحس والفكر والخيال... ولا أجد خَيْرًا من القراءة في تصدير تلك المواد.. فكما نلاحظ

أن كثيرًا ممن يكتبون لا يجدون مادةً ليكتبوا فيها، أو شيئًا يهمون بكتابته، وتراهم إذا عُدِمَت المواد عندهم، يلجؤون إلى أشياء فارغة، يتحدثون ويسهبون، وموضوعهم كله يدور حول بعض أفكارٍ تُعَدُّ على الأصابع، والمصيبة الكبرى أن تكون أفكارهم غير هامة.. فكتاباتهم بالتالي سينضب عنصر الحياة فيها.

فالأس الأول لأن تكتب، أن تجد ما تكتب، لِتبحثْ عنه بِجِدٍّ وحَذَرٍ، وتَحَرَى أن يكون مهمًّا للجميع. لِتُعْمِل عقلك في مجتمعك وكل ما يدور فيه وتختزن في ذاكرتك الكثير والكثير من الدقائق والخفايا، لأن الكتابة تُظْهِرُ ما لا يراه الآخرون.

ما الفائدة إن قلت ما أعرفه؟ يجب أن تذهب لشيء خفي عن الملاحظة... وكذا الأمر في الشعور يجب أن تراقب مشاعرك، وتلاحظ مداخلها ومخارجها وأسبابها وبواعثها، وتضع حولها حواجز تكون واضحة بداخلها، حتى إذا جئت تكتب، أخرجت للقراء شيئًا يرونه بداخلهم، شيئًا أرادوه لكن لم يجدوه إلا عندك.

ماذا تقرأ لتكتب؟

اقرأ في أي موضوع أردت، شريطة أن تكون محبًّا له، فلسفةً أو أدبًا، تاريخًا أو فنًّا... فكل ما ستقرأ سيترسب في ذهنك، وعند إمساكك القلم، ستجده يندفع ليخرج في قالب من الكلمات. فالقراءة هي التي تتيح لك الكتابة، لأنها مادة الفكر والإحساس، وليست القراءة التي تجد فيها الأفكار والمشاعر فقط؛ بل الواقع والتجارب الحياتية تجد فيها زادًا لا يُستهان به في الكتابة.

فالتفكير فيما يدور حولك من وقائع وشؤون، يُكَوِّنُ خيوطًا من الأفكار في عقلك، خيوطك المتينة تتكون من تفكيرك العقلاني المنطقي الذي يتحرى السبب والنتيجة وينظر فيما وراء الأشياء، وما الكتابة إلا المغزل لخيوط الفكر ولعُري المشاعر..

وأي كتاب تقرأه وتُفَكِّرُ فيما يحتويه، كفيل بأن يعطيك مادة للفكر والحس، مادة تظل معك وفي ذاكرتك، تنصهر مع تجاربك الحياتية وخبرتك الذاتية، ومشاعرك الفردية في بوتقة واحدة، وعند الكتابة

تصب منها قوالب من الكلمات، كل كلمة خرجت لمعنى بعقلك وشعور بقلبك..

خلاصة ما قلت بالأعلى أنك قبل أن تفكر في الكتابة، يجب أن تفكر في مِلء عقلك بالأفكار واستحضار المشاعر، وقراءة ما يتصل بما تكتب عنه، وقبل أن تفكر في الكتابة فَكِّر في ما ستكتب.

لا تمسك القلم وتندفع كالمتهور وتنتج نصًّا ساذجًا، لا يفيد القارئ في شيء.. ولا تتوقع أن الكتابة أمر هيِّن، ولا أقصد بالكتابة أن تكتب كلمات وكفى، بل أن تكتب موضوعًا جديرًا بأن يقرأ.. فهذه الكتابة حصيلة ما قلت بالأعلى وأشياءَ أخرى..

وضعْ في ذهنك أنك حين تكتب، فأنت لا تكتب لدقائق بعد الآن، بل تكتب للأبد، لأن ما ستكتب لن يذهب، بل سيبقى.. أنت من سيذهب، ذلك يرشد أن تتجهز بالعُدة الكافية من القراءة والتفكير. وتسبر غور شعورك وتنفذ إلى بواطن إحساسك، لأن ما أنت بصدده، إن أتقنته سيبقى، وإن لم تتقنه سيظل شاهدًا بعد موتك على سوء إنتاجك.

وأرى أن أورد هنا قوْلًا يتصل بالموضوع وما أتحدث عنه من التجهيز والمِران الفكري قبل الكتابة لابن عطاء الله السكندري: ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يُدْفَنْ لا يتم إنتاجه...

لا تستعجل أن تكتب، واختفِ عن الأنظار وزاول الكتابة وتمرس بها.. ادفن نفسك في الكتب والفِكَر، وغُص بها... وأقولها: لا تتسرع مجددًا، فبعد نموك ونِتاجك -بعد المِران والممارسة والقراءة والتفكير- ستكون كالشجرة السامقة، لا يزعزعها نقد ناقد؛ لأنك ستكون فوق النقد..

❋ ❋ ❋

العقاد

وفن التعامل مع الكتاب

فن تعامل أي شخص مع الكتاب هو الذي يبين ما الذي سيصير إليه هذا الشخص في عالم الأدب. هل سيرتفع ويسمو أم يتدنى ويخفت.. فالأدباء خير من أدركوا كيف يتعامل الشخص مع الكتاب؛ لأن بداخله روحًا "في قمقم ومارد سليماني" كما قال عباس العقاد تنتظر أن تخرج وتتحرر مع قراءة تلك الحروف..

والعلماء مدركون كيف تؤثر الكتب وتنفع، والمصلحون فطنوا أن الكتب والقراءة أساس متين يُبنى عليه تاريخ الأمة ومستقبلها.. فمن وقر الكتاب وأعطاه حقه هو الذي تُمَهَّد له العظمة والنفوذ العلمي والمعرفي.. لأن الكتاب منبع المعرفة.. وثمرة تجارب قرون مديدة، وحصيلة خبرات من عظماء عاشوا لينفعوا وينتفعوا..

والعقاد واحد من بين من أحسنوا توقير الكتاب وأحسنوا التعامل معه وعرفوا ماهية القراءة الحقَّة وسطوة الكتب وتأثيرها على الحيوات..

وإذا أخذنا نجول في تاريخ ذلك العظيم سنرى مواقف عديدة ومقالات وكتابات كانت تخط حروفًا من ذهب في فن التعامل مع الكتاب..

فالعقاد تدرج ونشأ شبه خلوٍ من التعليم، فما الشهادة الإعدادية أو الابتدائية إذا قورنت بموسوعية العقاد؟! وبدأ يخطو طريق المجد وكان صديقه في هذا الطريق هو الكتاب، فقضى معه عمره وكان كروح أخرى له..

ولا أحسب أنني أبالغ فهو القائل "أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد؛ لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب".

لا شكَّ أن العقاد قد أحسن وأحسن في التعامل مع الكتاب إذ أنه أدرك كيف تؤثر القراءة وكيف تبني الشخصية..

ففي بداية مسيرته الأدبية آوى إلى أسوان وكان يقرأ هناك.. وتجمعت من قراءاته وما بعثته في نفسه مقالات عديدة أفردها في كتاب "ساعات

بين الكتب" وهو من أوائل الكتب له.. وفي هذا الكتاب يظهر فن تعامل العقاد مع الكتاب وشغفه بالقراءة فقال في المقدمة:

"فأويت إلى أسْوان أقرأ وأرتاض وأثْبِتُ في الورق ما تبعثه فيَّ قراءة الورق والرياضة بين المشاهد والآثار".. وظهر توقيره للكتاب ومعرفته الحقة للقراءة في نفس التقديم حين قال "ليس للأوراق في «علم صناعتي» مادة غير مادة اللحم والدم، وليست المكتبة عندي -أيًّا كانت ودائعها- بمعزل عن هذه الحياة التي يشهدها عابر الطريق، ويحسها كل من يحس في نفسه بخالجة تضرب، وقلب يجيش، وذاكرة ترن فيها أصداء الوجود، وإنما الكتاب الخليق باسم الكتاب في رأيي هو ما كان بضعة من صاحبه، في أيقظ أوقاته، وأتم صوره، وأجمل أساليبه، وهو الحياة منظورة من خلال مرآة إنسانية تصبغها بأصباغها، وتظللها بظلالها، وتبدو لك جميلة أو شائهة، عظيمة أو ضئيلة، محبوبة أو مكروهة، فتأخذ لنفسك زبدتها الخالصة، وتعود بها وأنت حي واحد في أعمار عدة، أو عدة أحياء في عمر واحد. ذلك هو الكتاب كما أستحبه وأطلبه، وعلى

هذا لا تكون ساعاتنا مع القارئ بين الكتب إلا ساعات نقضيها في غمار هذه الدنيا بين الأحياء العائشين، أو بين الأموات الذين هم أحيا من الأحياء".

فبلغ فن تعامل العقاد مع الكتاب أوجَّه، وكيف لا يبلغ أوجه والعقاد يقول إن الكتاب عنده لحم ودم وليس مجرد ورق، وإن ساعات قراءته ليست وسط كومة من الورق؛ بل بين أحياء أحيا من الأحياء العائشين...

وعاد في كتابه "الفصول" متحدثًا عن الكتب والقراءة ومفصحًا أكثر عن فن تعامله مع الكتاب قائلًا ومفصلًا أنواع الكتب، ومشابهًا لها بأنواع الناس، فمنها السيد الوقور، والكيس الظريف، والجميل الرائع، والساذج الصادق، والأريب المخطئ، والخائن والجاهل والوضيع والخليع.. فقد فصل وهذا تفصيل شخصٍ علِمَ من القراءة وفن التعامل مع الكتاب ما لم يعلمه إلا حاذق ومتمرس.. وما ينحو ذاك المنحى في التعامل إلا عظيم ومدرِك كيف تقوم الأمور وكيف يسهم الكتاب، فلَزِم للكتاب قيمته..

وعاد العقاد بنا من رحلته وتفصيله وقال عكس ما قال المرشدون "اقرأ ما ينفعك" فعدل عنها وقال "انتفع بما تقرأ، إذ كيف تعرف ما ينفعك من الكتب قبل قراءته؟!" وتعامل العقاد مع الكتاب لا يتوقف على نوع الكتاب غث أو سمين؛ بل يتخطى ذلك، ويرى أن من يختار بينهما ويفضل أحدهما فأمره كالمعدة الضعيفة تتخير بعض الأطعمة وتترك الآخر الذي فيه إفساد لها.

ويظهر من هذا أن العقاد كان يجول ويصول بين الكتب لا يمكث على نوع معين، بل يجد غذاء له في كل الأنواع.. والعقاد لا يقرأ بغرض المتعة وإزجاء الفراغ، فقد اتخذ من القراءة أسلوبًا للحياة، يزيدها ويقويها ويعمق إحساسه بها..

ودستور العقاد في القراءة: "ألَّا أذهب مع الكتاب إلا ريثما أذهب مع الفكر في نفسي" وهذا واجب أن يكون دستور القراء، فلا قراءة مفيدة إلا عندما يصاحبها تفكير جيد.. وهذا يوافق ما قاله أينشتين "أي رجل يقرأ كثيرًا ويستخدم دماغه قليلًا جدًّا، يقع في عادات التفكير الكسولة".

وصداقة الرجل للكتاب لا تفتأ أن تتعرض لنقم وحزن.. إذ تحبسه أحيانًا كثيرة عن العالم ظاهريًّا، وإن كان يسيح به كل دقيقة يقرأ فيها.. وهذه العاطفة هي التي سيطرت على العقاد في قصيدته "يا كتبي" التي عاد ورد عليها بقصيدة أخرى بعد فترة من الزمن.. لائذًا بكتبه مدركًا أن جوارها أفضل من أي جوار..

يا كتبي أشكو ولا أغضبُ ما أنتِ من يسمع أو يعتبُ
يا كتبي أورثْتِني حسرة هيهات لا تنسى ولا تذهبُ
يا كتبي ألبست جلدي الضنى لم يغن عنِّي جلدك المذهبُ
كم ليلة سوداء قضّيتها سهران حتى أدْبَرَ الكوكبُ
كأنني ألمح تحت الدجى جماجم الموتى بدت تخطبُ
والناس إما غارق في الكرى أو غارق في كأسه يشربُ
أو عاشق وافاه معشوقه فنال في دنياه ما يرغبُ
أو سادرٌ يحلم في ليله بيومه الماضي وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتني وأنت لا جدوى ولا مأربُ
إلا الأحاديث وإلا المُنَى وخبرة صاحبها متعبُ
لا رحم الرحمان فيمن مضى من علم العالم أن يكتبوا

لكن عاد بعد زمن وقال:

شكوتها والعمر في فجره فكيف بي لما دنا المغربُ؟
لما دنا المغرب صالحتها تلك التي تشكى ولا تغضب
تلك التي قلت لها مرة والقلب دام والحشا مُلْهَبُ
"يا كتبي أورثتني حسرة هيهات لا تنسى ولا تذهبُ
يا كتبي ألبست جلدي الضنى لم يغن عني جلدك المذهبُ"
فالآن يا كتبي تعالي لمن أخبث شيء عنده طيبُ
ما أنت شر من عناء المُنَى وهي التي في صدقها تكذبُ
ما أنت أقسى من شقاء الهوى وهو الذي في لهوه يتعبُ

ذلك هو العقاد الذي فاق أدبه وبيانه الحدود وما ذلك إلا لتوقيره الكتاب وعلو فن تعامله معه.. فالكتب عنده دم ولحم فيها حياة يفتحها متفكرًا ويسير فيها ويتجول معلقًا ومتخذًا من الكتب أصدقاء ومن أعمار أصحابها مضاعفة لحياته الواحدة.. التي نحسبها نحن بعد وفاته

ومرور سنين على ذلك أن حياته بلغت مئات الحيوات، وشعوره وفكره بلغا آفاقًا، وما ذاك إلا بالقراءة والكتاب...فليتنا نفعل مثلما فعل العقاد ونصادق الكتب ونتعامل معها بفن وحنكة مثلما تعامل العقاد.

أعمارنا وعقولنا

قال إيليا أبو ماضي:

قُلْ لِلَّذي أَحصى السِنينَ مُفاخِرًا يا صاحِ لَيسَ السِرُّ في السَنَواتِ
لَكِنَّهُ في المَرءِ كَيفَ يَعيشُها في يَقظَةٍ أَم في عَميقِ سُباتِ

يا أخي إذا زدت عامًا فلا تفرح، إلا إذا زاد عقلك عامًا.. لأنك قد تكبر وتظل طفلًا، وقد تشيخ ولم يبلغ عقلك ربع عمرك.. فالخير الخير في الزيادة العقلية والنمو العقلي.. وخير حياتك يكون في اغتنامك لها في الخير واليقظة فيها والحذر من الدنيا التي قد تلهيك وتضيعك..

فلا تجعلن النوم يأخذك فتصير ميت القلب والعقل في جسدٍ حيٍّ يأكل ويشرب ويشتهي.

وإن المراتب الدونية للنفس لا تُقاس بها الفضائل؛ بل تقاس الفضائل بالعلو والسمو الروحي، وما تسمو الأرواح إلا بالمثل العليا،

فضع لك مثلًا أعلى وما أكثر القِدَى عندنا، فخذ لك من أفضل الأنام رسولنا قدوة تفعل مثله.

فالحياة يا أخي قصيرة وإن بدت لك في ملذاتها طويلة، فإن هي أرتك السكون اليوم، غدًا تريك اضطرابًا كالإعصار والبركان.. فحاذر.

❋ ❋ ❋

الشحُّ الروحي

أحْسَبُ أن أعظم شحٍّ قد يُبتلى به امرئ هو شح الروح عن العطاء لا شح اليد، فالروح ما تعطيه يكون أنفس وأعظم مما تعطي اليد بكثير. فقد يعطي شخصًا بروحه ولكن يده تَضُنُّ، ولا يجب أن ننقصه حقه إذا كان يعطي بروحه أضعافَ أضعاف ما يعطي بيده، وكان ما يعطيه أعلى قيمةً وأبقى أثرًا.

فتوفيق الحكيم مثلًا كان يُقال أنه بخيل، لكن في نظري لا يصح أن نطلق عليه هذه الصفة الآن، فالبخل بالمال يكون في حياة الشخص فقط.. وبمجرد أن تنقضي. والحكيم يظل إلى الأبد في عطاء روحي، فكيف نقارن سنين عديدة بأبد دائم؟!

والعطاء الروحي أبقى وأبقى، واهتمام الناس بالعطاء باليد يشير إلى مدى اهتمامهم بالحياة وما فيها، فلو أنهم تأملوا قليلًا لرأوا أن من يعطي بروحه يحيا ولا يموت عطاؤه.. لكن في وطننا المعطون بالروح قد

غبناهم وما زلنا، ومنهم الأدباء والشعراء والعلماء.. لأننا نحسب لحياتنا ولجيلنا الحالي أكثر مما نحسب لغيرنا، فلا يضيرنا ما نترك لهم ولا يضيرنا هل ظلمناهم أم لا..

فعند من يعتزون بعالم الأرواح والنفوس، ومن يعتزون بما بعد الحياة والحياة التي يعيشها المرء في وجدان وفكر اللاحقين، الشحُّ الروحي أشر وأعظم وأشد بليةً من غيره. فالقرون تتوالى والمال يندثر، لكن من أنفق من خيرات فكره ووجدانه هو البحر الذي لا ينضب جوده.

❋ ❋ ❋

عقال العقل هو القلب!

ربما يُكَبِّلُ القلب العقل ويُوقِفُهُ عن التفكير إذا أوقفت الشهوات الحس عن الشعور بغيرها، فلا بد لسطوة القلب من سطوة وراءها، ألا وهي سطوة الشهوات والانصياع لها.. وكلما ازداد القلب تمسكًا بالشهوات ازداد العقل تمسكًا بالجهل، حتى وإن مَلَك أمر معارف كثيرة.. لأن المعرفة الكبرى المتفق عليها هي معرفة النفس، ومعرفة النفس لا تتاح لشخص يبخس ثمن نفسه ويبيعها لسلطان مدلس كسلطان الشهوات.

❋ ❋ ❋

واختبأَتْ تحت العجلة

بلا حسابات، ولا احتياطات للمكان الذي أرادت أن تأخذ قيلولتها فيه، كانت نائمة في وداعة لا تُقارن، كأنها علمت متى تتحرك العربة وفي أي الأوقات ترحل، وفطنت أنها تملك قدرات تنبهها إذ حدثت أي حركة، قدرات لا يضاهيها بها أحد في سرعة الإحساس والاستجابة للمتغيرات...

نامت تحت ما فيه الهلاك، رأيتها ولاح في عقلي ما يفعله البشر، استشففْتُ من موقفها ما جاء بذهني... نحن نقبع في أماكن الموت، ونريد أن نحيا في راحة واطمئنان، ونعوم في الخطر وما نرتاب فيه ولا نحتاط له ولا ننظر أين ضفة النجاة..

على عكسها تمامًا، فكم مرة رأيتها في مواجهة الموت لكن تصدت له، قلَّ أن يأتي عليها ويوسعها من صعقاته..

وكأين من أفراد جنسها المتفرقين في الطرقات والغادين والرائحين، منهم من ينشل ما نطبخ، ومنهم من ينتظر البقايا، ومنهم من يريد

الفسحة فيتسلق لهدف ما، ومنهم من ينام تحت العربات وفي الطرقات، وفي الشرفات..

وأتذكر يومًا رأيت أختًا لها، نائمة في هدوء ورزانة، كأنما يحفها الاطمئنان ويضمها بجناحيه.. وترُفُّ حولها السعادة.

لم تفارقها ابتسامتها التي لا يُعْلَم منها ما بداخلها، مدت قدمًا وثنت الأخرى، ونامت على قدمها المثنية، ومدت ما تبقى من الأقدام.. كأنها تصيِّف وتستلقي على ظهرها في مارينا!

توارد كل هذا دِراكًا على ذهني، وعدت أفكر فيمن جَلَسَتْ تحت العجلة، ولم تخشَ الموت ولا الإصابة، بكل جبروتها... سلمت نفسها للموت، ربما هي لا تدرك خطر ما هي بصدده، لكن أُحِسُّ شيئًا بداخلي يقنعني أنهم يعرفون كل ما يدور حولهم، ويروننا ويتساءلون فيما بينهم في أحاديثهم المسائية، وهم يبحثون عن الطعام..

وتخيلت ما قد يدور في حديث مسائي لهم، تخيلت اثنين منهم يجتمعان في جلسة، بادر أقواهم الآخر وقال:

"كنت ببيت (....) البارحة، اشتروا سمكًا كثيرًا، فأبيت إلا أن أشاركهم طعامهم، تعجبت أن ربَّة البيت لم تعطني ما تبقى من العظام

كالعادة... فانتظرت حتى غلت المراجل ونثرت الطباق ووضع السمك، واجتمعت الأسرة، وأكلوا في نَهَمٍ.

كان قلبي يدقُّ دقاتٍ متتالية، خوفًا من أن ينفد الطعام... وعلتني ابتسامة جميلة، فلم يطردوني اليوم كعادتهم.. وانتظرت حتى خلت المائدة وتبقى طفل يأكل عليها، وفي يده قطعة السمك كبيرة، لا يستطيع إزالة ما بها من شوك.

سخرت منه.. وقلت لنفسي: آه يا مسكين لو تعلم كم أنا جوعان، وأيضًا لو علمت مهارتي في الأكل، لأعطيتني ما بيدك وجلست تتعلم، وأعدك أن أترك لك قطعة منها تملأ بها معدتك الصغيرة..

وحانت اللحظة فاستعددت، وركزت بصري على أفراد الأسرة، وعيني الأخرى لا تفارق قطعة السمك، وانتهزت الفرصة لاختفائهم، وفجأة سرقتها منه وأسرعت كالضوء من أمامهم...

أخذت ما أردت من الطفل، وخرجت من الباب مسرعًا أبحث عن مكان أجلس فيه، وأستمتع بطعام اليوم، أطلت عليك، لكن حدث أن

جاء (....) وأراد أن يأخذها فتشاجرت معه، وانتشيت الكبرياء والقوة، ونفضت جسمي أمامه، كما أفعل مع الكلاب، بعدما استولينا على الحكم من بعدهم، وأصبحنا العدو اللدود لهم... فخاف ووجِلَ وانصرف ناكس الجبين".

تخيلت هذا وتخيلت الآخر يرد بنكساته وصراعاته اليومية...

سأعود بكم لصلب الموضوع، ربما لو تَعْلَمْ خطورة موقفها، لخشيت كما هي أيضًا تخشى الطرق والجري فيها، إذا انتفضت السيارات، والموتوسكلات بالحركة، فتنتظر انتهاء الحركة.. لكن هذا يأخذنا إلى نتيجة: أنها لا تعلم الخطورة في موقفها...

على عكسنا فنحن نعلم الخطورة في موقفنا، إذْ نحن جلوس في الخطر والشر، ونشرب ما فيه الهلاك والنكسة لنا، ونفكر في ما يضرنا، ونمارس شهواتنا ونُفْتُن بحياتنا، وكل هذا خطر علينا، ويهددنا بالموت، كما تهدد العجلة المسكينة -التي رأيتها- بالموت..

لو فعلنا مثلها وتسلحنا بما ينقذنا في غفلتنا، وحرصنا على ما فيه النفع، حتى ونحن في وسط الضرر.. وجعلنا أعيننا منتبهة وعقولنا مستيقظة ومستعدة لأن تهرب مما فيه انحرافها وزيغها، لكان حالنا غير الحال، ولكانت حياتنا حياةً ولا أيَّ حياة...

آه لو كنا مثل القطة، التي نامت في هدوء تحت عجلة السيارة.

التشويش..

ضَرَبْنا صَفْحًا بيننا وبين الانتباه، وأغفلنا كيف نغوص بفكرنا في شيء واحد ولا يُعَكِّرُ سيْرَ تفكيرنا لائح من الذكريات، وفَوَّتْنَا ما كان يصنع أجدادنا فكانوا عميقين لدرجة كبيرة، كانوا يغرقون بفكرهم في الشيء فيستخرجوا زبدته ويَذَرُوُه عاريًا من كل ما كُسِي به..

الآن تشتت التفكير وتشوش بتشوش العصر، فعصرنا ما يلبث أن يهدأ إلا وينتفض من جديد بثورة جديدة تغرق العقول وتُشْرِبُها خمرًا معتقةً من رحيقها.. فينتابنا بين اللحظة والأخرى سَفَرٌ مفاجئ إلى مكان آخر بتفكيرنا وغيابٌ عن الحاضر بجلالته..

فالناس تروح وتغدو في مسكرات الفكر ومشوشات الذهن.. فحتى الصلاة التي كان أسلافنا يستشعرون كل حركاتها وأركانها فاتت منا وأصبحنا لا ننتبه إلا عند "آمين" و"الله أكبر" و"السلام عليكم ورحمة الله" وأسلافنا وصل بهم خشوعهم وتركيزهم أن غابوا عن سوانح الفِكْرِ والدنيا غيابًا شبه تام..

فبُتِرت رجل أحدهم في الصلاة لأن ألم البَتْرِ لا يؤثر أمام الخشوع الرهيب.. فوصل تعمقهم إلى حد بعيد ووصل فكرهم في تركيزه إلى حد الكمال... ففي التركيز نحن نرثي لأنفسنا.. وأيضًا بمجرد أن نمارس شيئًا ما، لا نلبث أن نجد لائحًا من الفكِر اقتحم تفكيرنا عُنْوَةً.

ولا أدعي أن عدم التركيز منقصة دائمًا، فهناك حد طبيعي إذا تجاوزه كان منقصةً لصاحبه...

وشواغل الأيام هي هواتفنا، حساباتنا، علاقاتنا.. وما سمحنا له بالدخول في حياتنا كأنه اشترى حصةً من تفكيرنا.. فلا يمرُّ يومٌ أو ساعةٌ أو دقيقة إلا ونفكر فيه ويزداد التفكير كلما زاد غوره في عقولنا.. ويأتي بعد تمركزه التام وسيادته الموثوق منها فيحيل ما نعمل طيفًا لم نحس به. وتلعب العادة دورًا فعَّالًا في أن يمر ما نقوم به كأننا لم نُخَلِّف تركيزنا عنه، والحقيقة أننا كنا في مكان آخر.

هذه آفة من آفات العصر "التشويش" أن تملك الحاضر لكن تنغصه عليك أفكارٌ مترسبة من الماضي أو أطياف فِكرٍ عن المستقبل لا تفيد كثيرًا في الحاضر، فيكون التشويش سَقَمًا متفشيًا ينهش وقت الحاضر..

وكما يُعتبر التشويش على الآخرين في أعمالهم تصرفًا رذيلًا، ففكرك يشوِّش نفسه بنفسه ويسرق كنز حاضره... وما لعبته التكنولوجيا في كل شيء وما قامت به من تشويش كان خير مُؤكدٍ أن الإنسان ضعيف، مسجون أهوائه وأفكاره..

وأن كما يحجب الشمسَ الغمامُ فتحجب التكنولوجيا وتشَوِّش أحيانًا أنوار التركيز والانتباه.. فالتشويش آفة والآفات تُعالج وعلاجها مِنَّا أن نَشُدَّ تفكيرنا بحبلٍ من الاهتمام كلما رأيناه يبتعد ليزاول عملًا آخر غير ما نقوم به.. وبالتالي نملك تفكيرنا كل حين وإن هرب فهروبه ثوانٍ عابرة.. ولا يهرب إلا مرات قليلة في اليوم..

ومن ملك تفكيره فقد ملك نواصيَ أمره وملك القرار في حياته.

❋ ❋ ❋

"هاموِّتك..."

كلمة تعبر عن ثقافة المصريين فيما يخص الحياة والموت، فالحياة عندهم شيء هيِّن.. سائغ أمامهم كبقية الأشياء فهم يهملونها كل الإهمال.. ويطلق المصريون أحيانًا هذه الكلمة مزاحًا وهذا هو الواقع فعلًا، فأحدنا ما لبث في صداقة إلا وقال لصديقه "هاموِّتك..." على سبيل المزاح.. وهي لا تتعدى اللسان..

لكن هي وباء يدل على المصريين ويعرفنا خصلة تتواجد فيهم... أنهم أقل مبالاةً بالحياة وأقل حرصًا على تنميتها وتطويرها.. فما هي البواعث التي تسمح لشخص ما أن يمازح في أمر الحياة والموت؟! أم هو الخمول الذي يعمل كل هذا ويجعل من الموت عند المصريين شيئًا عاديًّا لأن حياتهم عادية أيضًا! فقل لي ما الجديد عند المصريين؟

نعم هناك جديد في مناحٍ كثيرة لكن الجديد الذي تظهره مصر وتفخر به.. أتظهر مصر مفكرًا أو فيلسوفًا أو عالمًا وتؤهله للحكم على واقعها؟

أم تخبئه كأنه كنز نفيس لا تحب أن تظهره لتباري به الأمم الأخرى كي لا يحسدونها على النجباء؟!

أهذه خطة المصريين الخاملة التي تجعل الموت في مرتبة أعلى من الحياة؟! وتجعل الموت في كل شيء سيمة بارزة ومزية أساسية.. وليس الموت عندهم وذكره شيئًا فرغوا منه، وليس المصريون من أدوا واجبات الله عليهم ليطلبوا الموت ببخس الثمن، وتجعلهم يترامون بذكره في عباراتهم، لا اتعاظًا؛ لكن تعبيرًا عن خمول بهم..

فيجودون بالمزاح إلى درجة الموت! أم تعلموا من تهديدهم لبعضهم البعض بهذه الكلمة وأوردوها في مزاحهم؟ لو كان هذا أو ذا.. فالواقع أنها تحتل من المصريين وحديثهم ما يجعل الأمر غير عادي ويجب أن نتحدث فيه. ولا يحيل المصريون حياتهم ومزاحهم إلى الموت فقط؛ بل يقتلون الثمرات بأنفسهم... وقد كنت أحسب مناخ مصر مهيأ لتخريج ثمرات كثيرة كما هو مناخها الجوي، فكان مناخها الثقافي آخذًا في التناقض والتهدم..

مصر لا ترضى لأبنائها أن يتهاونوا بحياتهم حتى في المزاح، فما يظهر من المصريين في أفعالهم وكلامهم يعبر عمَّا في نفوسهم، فالحياة عندهم خاملة والموت عندهم هيِّن؛ لأن حياتهم لا تسوغ لهم شيئًا يجعلهم يحفظونها ويدخرون منها في حصيلتهم عند الله.. والله لا يرضى بهذا...

ولتتأكد أن ما أقوله داء عندنا فقط.. فخذ هذه القصة من زويل مصر في كتابه "عصر العلم": "من المألوف مثلًا أن يمزح مصري مع صديقه المصري بقوله "هاقتلك" وهو بالطبع لا يقصد المعنى الحرفي لتلك الكلمة، ويرد عليه صديقه بكلمة أكثر من هذا القبيل، فالأمر لا يعدو أن يكون مزاحًا وقد حدث للمرة الأولى والأخيرة أيضًا، أنني قلت لصديق أمريكي ونحن نحتسي القهوة قلت له مازحًا "هاقتلك"فما كان منه بعد أن سمع ما قلته بالإنجليزية إلا أن نظر إليَّ نظرة فهمت منها كل شيء، وقرأت في عينيه وتعبيرات وجهه ما دار في ذهنه في تلك اللحظة فقد اعتقدَ أنني أقصد ما أقول".

فحياة الغرب نفيسة يحافظون عليها ويتمسكون بها على غِرار ما نفعل نحن... والله عز وجل قال "**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ**

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ" و"حياة" نكرة لأن من طبيعة الإنسان أن يحرص على الحياة التي يعيشها... فلو كنا أشد حرصًا على حياتنا -وليس الطعام والشراب والصحة بمظهرين حرصنا على الحياة- فالحرص سيلحقنا بالمجد والازدهار...

أما لو هانت حياتنا، فماذا نريد بعد الهوان؟!

❋ ❋ ❋

عصر الغواية

في عَصْرٍ عجيب تَوَسَّدَتْهُ الشهوات، وتَمَكَّنَتْ منه كل أنواع الغِواية وكل أنواع الفساد، في عصر التحضر وفي عصر الدنو، الذي إذا ارتفع ففي المادة، وإذا انحط ففي الروح.. الذي يقيس كل شيء بمقدار لذته لا يصنع حسابًا لما بعد الحاضر، ولا يعبأ بما يكون في المستقبل.

الذي يتحارب فيه الكِبار، الذي يُعرف عنهم النضج والرزانة على نشر فضيحة وترويج إغراء لسيدة ما.. الذين إذا رأوا أي إغراءٍ سقطت قلوبهم وعقولهم تحت أقدامهم، وانْحدرت إلى وهدة الحيوانية والمادية النجسة.. الذين يلعقون الشهوات ويرضعون من ثدي القبح.. الأقوام الضالة التي تفسد أطفالًا وشبابًا قد يغيرون التاريخ..

هؤلاء هم شياطين الإنس الذين يسابقون الشيطان الحقيقي في كفره وفسوقه، يريدون للشمس أن تغرب، وللقمر أن ينفطر، وللحق أن

ينجلي.. نراهم كل حين منتشرين كتراب الأرض لا أهمية لهم في المجتمع، ولا ينهضون بشيء ما..

لقد أغضبونا وأيم الله.

وعصرنا هو عصر الإنترنت العجيب، عصر الغواية الكبرى، بكبسة زر تلتحم بصنوف الشهوات وتأتي لك الذنوب سِراعًا.. قديمًا كانت نظرةً أولى لك والأخرى عليك، وهذا القانون النبوي حقيقي حتى في هذا العصر.. لكن كيف والنظرات اختلفت، ومن نظر مرة ينظر ثانية وثالثة وعاشرة! لا رادع، ولا مانع من فعل تلك الرذائل..

ومن بنفسه ضعف فمسلم لكلِّ الرذائل مباشرةً لا حجاب، ولا درع يقيه..

وعلى من علموهم وِزر تربيةٍ ناقصة، وعلى بيئة ومدرسة ومجتمع وِزرهم.. فأين الكماة الذين إذا حُورِبوا حاربوا وإذا انكسروا صبروا؟ نحتاج إليهم في عصر الغواية، يعلمونا شيئًا يسيرًا يوقفنا متصدين لكل الإغراءات ويظهروا المعنى الحقيقي للقدوة..

والنساء تلعب دورًا كبيرًا في الإغراء، فلمحةٌ تجلب رجلًا، وكلمة تسرق قلبًا، وغمزة توقع بلدًا.. لقد ملكن أزمة الإغراء ولا ينافسهنَّ فيها مخلوق.. إنا لنراهن يتزينَّ زيادة عن اللازم، لا ليظهرن جمالهن الموجود؛ بل ليوقعن القلوب المختبئة في الصدور.. فما ضير بعض التأنق؟!

لا مشكلة.. لكن الغواية الكبرى والمبالغة هما موضع النظر الآن. فهنَّ شِراك لهذه العيون وتلك القلوب التي في الصدور..

❋ ❋ ❋

ما يسوء حاضرنا..

يبدو لنا الماضي رشيقًا عندما رأيناه يسير وقتها، جميلًا حين يغري.. إلا أننا أبناء الحاضر لا نذكر له ذلك، فنذكر أنه كان سببًا في محنة، يدًا في ابتلاء، هذا كل ما نذكره.. فالحاضر مقرون بالماضي كما تقترن النفس بالجسد لا ينفكا. وإذا كان حاضرنا سيئًا نقول كانت هناك مقدمات لهذا الفساد في الماضي، ونتساءل لِمَ لمْ يرفع أبناء الماضي عنا تلك المقدمات لهذه الابتلاءات العظيمة؟! وكيف لم يفكروا في مقدار المأساة التي قد نشعر بها نتيجة لأفعالهم وسكوتهم على البدايات غير المبشرة لمستقبل هو أشبه بتلك البدايات؟! وكان المستقبل الذي توقعوه هو حاضر جيل ظلمه الماضي وظلمه أبناء الماضي..

إذا طفقنا نتساءل ما سبب كل مشكلاتنا سنردها إلى أسباب ودواعٍ في الماضي.. تقاعس أبناء الماضي عن أن يجابهوها ويزيلوا الغُمَّة المتوقعة. ومن أبناء الماضي الذي ما زال الآن يحاول أن يعدل ما قد أفسدوه وجنوه

في حق أبناء الحاضر.. ويحاولون أن يقولوا لنا أن مستقبلنا مشرق لأننا نعمل لكم هذا الحاضر البديع.

وقد نسوا أنهم كانوا ينسجون مستقبلًا بأفعالهم وصفقاتهم لكن جاء الوبال في ذاك المستقبل وهو الآن حاضرنا.. ويعيدون الكرَّة ويقولون مثلما قالوا وقد كذبوا؛ لأننا نرى مقدمات أفعالهم التي ستنشئ جيلًا يتذمر من الأوضاع الحالية مثلما نتذمر ونشكو نحن.

الأمر عسير وجِدُّ عسير حتى نداويه ولا ينفع العلاج ونحن نجلبه من أيدي كبرائنا كما يُنعتون.. هذا ما يسوء حاضرنا وهو الماضي الفاسد الذي كان سببًا منطقيًّا لفساد الحاضر..

إذ الجيل ينشأ ويخطو على خطى معلميه ومن هم أكبر منه، وقد نشأ جيل لم يجد الخطى إلا طريقًا للضلال والفساد.. ونشأ جيل وجد أسس مجتمعه الدينية متساقطة ومتهدمة وإن وجد أناسًا يحفظونها ظاهريًّا!

ووجد فساد بيئة يفسد الذوق، ففساد البيئة جماليًّا يزري وينشئ جيلًا معتادًا أن وطنه تملؤه المزابل والقبائح، فلا يضيره إن رأى منقصة، ولا

يدفعه ذلك لصدها وردعها.. أما البيت الوديع الذي يحوي معلمًا يخطو على خطوات معلمين أحق وأجدر بالاتباع، فهو البيت الذي ينتج جيلًا يدرك ما يرمي إليه، ويدرك قيم الجمال ورفاعة الذوق.. وإن لم يدرك رفاهة العيش!

نحن أبناء الحاضر نُحَمِّل مَنْ قد مضوا بعضًا من مشاكلنا وآلامنا؛ لأن الماضي هو الأرض التي بذروا فيها حبوبهم السيئة والجيدة، وجئنا نحن لنحرث.. وبعض الناس سيبذرون الحبوب مثلما وجدوها شائنة وقبيحة، حسنة وجميلة..

كل ذلك مرجعه إلى كيف وجدوا البيئة حولهم.. وعلامَ حثهم أبناء الماضي.. فجدير بنا وأجدى لنا إخواني في الحاضر أن نرقب جيدًا أبناء الماضي، ونحاذر ما نتلقى منهم فقد يكون سمًّا ناقعًا.. ولنعمل أن يختال حاضرنا بجماله، حتى إذا غادر وأصبح ماضيًا وجاء حاضرَ جيلٍ قد قدمنا إليه بأفعالنا ما قد يعليه ويرفعه درجاتٍ ودرجات.

❋ ❋ ❋

المستقبل في زيِّ الحاضر

ماذا سنقول للمستقبل عندما يكون حاضرنا؟! سنقول له أننا وددنا أن يكون أفضل لكن القدر شاء غير ذلك، سيقول أننا قد كذبنا.. فكنا نقول له الحقائق ونحدثه بكل الأسرار لكن ليس بلساننا؛ بل بلسان حالنا، والكذب ذريعة الكسالى وعلتهم في الإفلات من الحقائق التي لا مفر منها. فسياط الأيام يتابعهم بمرها وبلائها لكن يأبون إلا أن يزيدوا الأيام هزلًا وضحكًا.. ويزيدوا المستقبل مرًّا وعلقمًا.

لكن من يشرب ما يمطرون؟! هم بأنفسهم.

والمستقبل سيلحق بهم في سن المشيب ويخبرهم: كنتم تتمادون في إفسادي فلم تفسدوا إلا أنفسكم. قد سخط عليهم المستقبل وسخط عليهم الحاضر وأبناء الحاضر.. وعن قريب يسخط عليهم الموت ويأتيهم بغتةً فيذهلهم بعاقبة فعالهم.

وما اختبأ في المستقبل ليس بمحجوب عنَّا الحجاب الذي يستره سترًا تامًّا كما يستر الليل ما وراءه؛ بل يترك له آثارًا في الحاضر يلحظها النبيه، من يسرح بفكره في الآفاق فيرى أن المستقبل حاضر في الحاضر..

ونكاد نلمحه ونشم رائحته كلما أدرنا أعيننا في الحاضر.. فنرى قرارًا أُخِذَ بسيطًا في الحاضر.. وإذا سافرنا إلى المستقبل رأينا هذا القرارَ نفسه تفرع وتشعب وأتى بما يصعب حصره.. ويقف الناس مشدوهين من عظمة الحاضر، الذي كان مستقبلًا من قبل.. لكنها عجائب الأقدار التي تأتي بحدث ما مرتين، المرة الأولى في الحاضر والثانية في المستقبل!

ويسأل سائل كيف تأتي به في المستقبل وهو غيب؟ وأقول: تأتي به في حاضر المستقبل الآتي لا محالة. فما تسطره أيدينا اليوم نراه غدًا حاضرًا على هيئة عمل ما، أو تأثير جذري في فترة من التاريخ.. وهذا يوجه نظرنا إلى إحياء التراث.. فالمقصود بإحياء التراث أن يكون حاضرًا ومستقبلًا بما فيه من ماضٍ.. ولا يحيا الحاضر وينتظر المستقبل إلا حيٌّ تُحسب له أعمار وأعمار.

وأمر آخر نعايشه ولا نفكر فيه التفكير الكافي، فبعض الناس لا تهمه الأحداث التي تجري في الحاضر ولا يعبأ بها، ويظن أنها مستجدات وستندثر، لكن فاته أن ما يخرج إلى ساحة الوجود ويلعب في نفوس البشر ولو بالشيء اليسير؛ مهيأ لأن يحتل مكانًا كبيرًا في المستقبل، لذا فإن المفسدات التي تكمن في الحاضر وتستتر بردائه لا تلبث في المستقبل إلا أن تتعرى وتخرج إلى الملأ وتفتن أي من تفتن.

ونرجع لنقطتنا الأولى: ماذا سنقول للمستقبل عندما يكون حاضرنا.. وعندما يأتي ويرانا قد أعددنا له الشر والسوء ولم نكف الظالم عن الظلم ونحن نعلم أن ظلمه سيجور على المستقبل وأبنائه.. ولم نردع فنانة ما أو مغنيًا ينشر فنًّا هابطًا يردي بالنفوس ويؤخر أهل الحاضر وينوِّمهم؟ ماذا سنقول عندما نزرع وردةً ونقطفها ولا نتركها تنشر عبقها في المستقبل، وعندما نقتل كروانًا يبوح بما في صدره وكان من الممكن أن يكون لسانًا وقلبًا لفئة غير قليلة من الناس؟ ماذا سنقول للمستقبل حين ذاك؟ كيف سنرضى عن أنفسنا ونحاول أن نعيش في

المستقبل الذي دمرناه في حاضرنا الذي نحياه الآن؟ هذا حق يجب أن يقال، والساكت عن الحق شيطان أخرس.. وإن من عاش في الحاضر ولم يحاول أن يصلحه فسيتحمل عبء فساد المستقبل.

من كل هذا نعود ونقول أن من سار على الدرب وصل، ودرب الحاضر لا محالة يؤدي إلى المستقبل، وإننا في إرسال دائم لأعمالنا إلى المستقبل، وأهل المستقبل يستخدمون ما صدرنا لبناء (حاضرهم).. وأعمالنا تصل وتُنَفذ في كل حين.. فليس من عملٍ لنا إلا أن نراقب ما نفعله في حاضرنا ونفحص أدوات البناء جيدًا حتى لا تبني لنا بناءً فاسدًا.. وأن نبعد كل ما قد فسد من فنٍّ هابط وإعلام مدلس وعقول مريضة ونفوس متحجرة.. حتى لا يعطب مستقبلنا بعطب كل تلك المؤثرات.. فحاضرنا حاضر في المستقبل، وحاضرنا مستقبل الحاضر.

❋ ❋ ❋

هات يدك لأدخلك جهنم!

الإنسان يسلِّم نفسه للشر وهو يعلم أو لا يعلم، لكنه يسلِّم نفسه بلا تفكير وتمعن فيما يفعل.. فهو يسير على طريقه بهدوء وتأنٍّ لا يبالي أين يقوده.. فهو مدرك أن عاقبته وخيمة، وأن طريق الشر مُهْلِك، لكن اللامبالاة غشاوة على عينه لا تريه ما بعد الحاضر.. ولامبالاته لا تنفي علمه أن طريقه طريق شيطاني، بل قد تكون اللامبالاة من اقتناع عميق بما يفعل وما يؤدي إليه هذا الفعل..

لذلك لا نتعجب أن نرى بعض البشر يمد يده ويقول لصديقه في الشر خذني معك إلى جهنم، فسيارات الكفر كثيرة، وطريق الكفر محدد، فسياراته لا تسير إلا ولها وجهة معينة وهي جهنم الأبدية... وطوال الطريق الكفار يتسكعون بعرباتهم ويشربون وينتشون روائح الشر، ويشعل لهم الشيطان الشهوات في ذات الوقت الذي تُضرم لهم فيه نار جهنم..

وفي مجتمعنا الآن نرى الإعلام والاستعدادات الشيطانية لرمضان على التلفاز، أليس بِوارد جدًّا أن يكون الشيطان يستعد بتلك المسلسلات ويشارك المخرجين والممثلين أفكارهم المشينة قبل رمضان لكي يعرضها لنا فيه؟! نعم والله هذا أمر وارد جدًّا.. فليس أهل الخير فقط من يستعدون لرمضان؛ بل الشيطان وقبيله هم أيضًا في عمل جاد حتى يحصدوا فسادًا أكثر في شهر الصوم...

وهم في استعداد دائم لا يقعدون عنه ولا يرجئونه كما نُرجئ نحن الخير إلى وقت لاحق.. فليس عجيبًا من كل ذلك أن نرى الناس فُتِنَت وتمد يدها لتدخل جهنم بنفسها... لا يحسون الأمر الفادح المقْبِلون عليه، وأرض الشر المحرقة لا تُلْهِب أقدامهم بتاتًا ولا قلوبهم بالمرة.. فكيف يتأذى حجر؟!

وفي عالمنا المسكين نلمح الشر يروح جيئةً وذِهابًا ليس فقط في بلاد أهل الشرك والضلال؛ بل عندنا نحن.. ويدخل مُلَثَّمًا بيوت المسلمين فيغويهم ويحيلهم صفرًا كبيرًا لا يحوي إلا الفراغ الروحي... وأحيانًا يُغوى المسلم لكن يرجع من إغوائه أشد صلابةً وأكثر تسلحًا لقذائف

الإفك والضلال... فهو كالأسد الجسور يخرج من معركة دامية أقوى وأقوى لا يخشى غيره متعلمًا مما سبق، منيرًا دربه فيما يأتي.

فلا تتعجب أن ترى شخصًا مسلِّمًا للكفر ومسلِّمًا للشيطان، لم يحتط لنفسه قط، ولم يفكر أن يخرج من بقعته المظلمة إلى عالم النور، يتظلل بشجرةٍ خبيثة لا تسقط عليه إلا الذنوب..

تاركًا جِنانًا عامرة، ضاربًا بينه وبين الإيمان صفحًا من البُعْدِ...

يعزُّ عليه أن يقول "إلهي" ويكثر من قول المُجْن والفسوق... يتستر بما يفعل في جوف الظلام، ويقدح ناره التي يصلاها بنفسه. لم يفكر أنه عندما يمد يده إلى الشرِّ والكفر فسيشدُّه الكفر على غفلةٍ فيصلى نارًا أبدية لا ينفعه فيها شيء، ومن كان يؤوده ويعينه على المعصية سيهمله ولن ينجيه مما هو فيه.

فهل ستصافح الشيطان حتى يخذلك ويدخلك جهنم؟! أم ستقرض الله قرضًا حسنًا فيجزيك به؟

❋ ❋ ❋

الحياة تلك العجيبة!

ما الذي يبقينا متمسكين بالحياة ومحافظين عليها، عاضِّين عليها بالنواجذ؟ أليس في الحياة سرًّا عجيبًا نحتار في وصفه؟ رغم أنَّا ندنو من الموت، إلا أننا نتمسك بالحياة تمسكًا مريبًا.. يخيِّل إلى من يرانا أنها تبقى معنا إلى الأبد الأبيد...

هي ستنقضي بلا شك وتحفظاتنا وحدودنا التي وضعناها لأنفسنا ستتبدد في ذلك الحين، فما الذي يبقينا على ما نحن عليه والحياة لن تبقى على ما هي عليه، بل سيعقبها فناء محتم؟!

الأمر يدعو للغرابة والتعجب فعلًا، هو خارج عن حدود يومياتنا التقليدية المملة، أنا أتحدث عن الأبد! وأتحدث عن الحياة ككل، الحياة تلك المهولة العجيبة، المتدفقة داخل كلٍّ منا.

أتساءل إذا كنت سأموت قريبًا مثلًا، فبحكم العقل ما الذي بقي من متعة في الحياة فأذوقها؟ فالموت كالحريق الذي ينشب في حياتنا، يجب أن نسرع في توقيه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.. لا أن نقف في الحياة وهو يقترب منَّا ونحن لا نفعل شيئًا ولا نقدم شيئًا ذا قيمة.. ولا حتى نتتبع أحلامنا، التي دائمًا ما تألقت ونحن صغار وبدأت تخبو رويدًا ونحن نكبر..

هذا هو السر الذي أتحدث عنه.. نحن في تمسك وثبات غريب على أفكارنا وعاداتنا القبيحة وآمالنا المحدودة... نحن ندرك أنها فرصة وستنتهي وحريٌّ بنا أن نستغل الفرصة جيِّدًا حتى ولو استلزم أن نموت في سبيل تحقيقها.. وهذا ما حث عليه المتنبي عندما قال:

وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تكون جبانًا

إذا كان جسدنا المتوثبة فيه الحياة، الضاحك المستبشر، القاطب العَسِرُ سيتحلل إلى بعض رفات! ومراكز الحس والشعور ستتلفع بالتراب وتندثر وسط الركام الهائل من تراب الموتى، فماذا بقي كي نأسى عليه في تلك الحياة؟! أليس هذا يدفعنا أن نستغل ما تبقى منها؟

أفكر -ويبدو تفكيري غريبًا- أننا نحن ما بقي لنأسى عليه في تلك الحياة.. فنحن نحب أنفسنا ونحب أن نتمتع بأنفسنا، ونحب أن نرضي أنفسنا ونسعد أنفسنا وننتصر لأنفسنا، ونشبع أنفسنا.... إلخ

نحن أحببنا الحياة لأننا أحببنا وجودنا فيها، ولو انفصلنا عن أنفسنا وتأملنا الحياة لزهدنا فيها ونقمنا عليها؛ لأننا لسنا فيها.. فالحياة لا ترضينا بذاتها؛ بل يرضينا أننا فيها ونتمتع بها..

والحياة كفكرة ليست واحدة عند كل شخص، فالحياة كقوة مسيِّرة لنا واحدة، أما في كونها فكرة فأمامنا كمٌّ هائل من المعتقدات والأفكار التي تبلور للحياة قيمة ومبدأ، لنا الحرية في اعتناق أيٍّ منها..

والفكرة المعتنقة عن الحياة تتفاوت في تأثيرها، فهناك فكرة تجعل شخصًا ما يجود بحياته، وعلى النقيض هناك شخصٌ آخر يبخل بها أشدَّ البخل، وهناك فكرة تجعل الإنسان يترفع عن كل الملاذ، وفكرة أخرى تجعله يمرح في نعيم الحياة.. وكلٌّ منها تحقق لصاحبها سعادة ذاتية.

وقد نستخلص مما قلت بالأعلى أشياءً كثيرة ألخصها هنا:

- رغم أننا سنفارق الحياة إلا أننا نتمسك بها ونظلُّ ننشد السعادة فيها، ونحن ننشد الحياة وسعادتها لأننا تعلقنا بأنفسنا ووجودنا في تلك الحياة إلى حد أننا تعلقنا بالحياة نفسها..

- ورغم تعلقنا بالحياة فنحن نتعلق بها لأننا فيها فقط، ولا نستطيع أن نرضى عن تلك الحياة بغرابتها وعبثيتها أحيانًا، ونحن ننظرها من الخارج منْبَتِّين من حبالها..

- الفكرة هي ما تعظم الحياة ولا شيء غيرها، فكلما عظمت فكرتنا عن الحياة؛ عظمت حياتنا بالمثل..

بقيت نقطة أخيرة وهي شبح الموت. الموت يهددنا دائمًا ويرعبنا، لكن قد نتمثل الحياة في هذا الموقف كمرأة -كما تخيلها نيتشه- تحاول أن تغيرنا وتصرفنا عن تلك المرأة القبيحة وهي الموت..

وهذا حقيقي وظاهر فعلًا، فالحياة تنسينا الموت، وقليلًا ما نتذكره وسط إغرائها وخضمها.. وفي تذكره صحوة من سباتها.. والعجيب أن كله سبات في سبات!!

وأنا لا أزعم أنني أخبر يقينيات عن الحياة وأبثُّ بأشياء مؤكدة، فأنا كشخص حي أترجم ما أحس به تجاه الحياة وقد لا يختلف كثيرًا عما يحس به غيري، فأنا في ظنون وخيالات فلسفية، ترضيني كثيرًا في تلك الحياة الأشبه بالخيال..

❊ ❊ ❊

العبثية

رمز العذاب الأبدي كما جاء في قصة سيزيف مع كبير الآلهة (زيوس)، فقد خدع سيزيف إله الموت، فاستحق العقاب من كبير الآلهة.. وكان العقاب غريبًا في حد ذاته، فعاقبه بأن يحمل صخرةً ويصعد بها إلى أعلى الجبل، فإذا وصل ووضعها، تدحرجت مرة أخرى إلى أسفل الوادي، ويقوم برفعها مرة أخرى وهكذا في دورة لا نهائية..

جسدت هذه النظرة روح العبثية التي تكتنف الحياة، الروح المسيطرة على معظم البشر، التي جعلت من أفعال يومهم وكل أفعال الحياة عادة، فقدت بريقها ولمعانها.

يجدر بنا أن نتخيل كل الأماني وننظر إليها عن كثب بعد تحققها، ونتفرس في شعورنا تجاهها. إنها تفقد اللذة والنشوة الأولى.

جميعنا نتذكر تلك التجربة الأولى لكل شيء، التجربة المثيرة المشتعلة فرحةً وسُكْرًا، التي أطربت خيالنا وحركت دوافع الحياة. لكن الآن

الأمر أصبح تقليديًّا أكثر، وأصبح عاديًّا وعبثيًّا بجانب غيره من الأمور...

وكأن الحياة تسير في اتجاه محدد لا تحيد عنه، أن يصبح أي شيء رغبناه عاديًّا، مألوفًا.

كيف الخلاص إذن؟

لو نلاحظ أن كل العبثية تتجسد في الحياة المادية، في كينونة الحواس التي نتلقى بها ما نريد، والتي طالما تلقينا بها ما أردنا. في اليد الأخرى، هناك عالم آخر، عالم الروح والعقل، نترقى فيه، وتَرِدُ إلينا منه تجارب ومشاعر تنفي وتلغي شعور العبثية.

وهذا يبرر لنا أكثر لماذا العقل هو الميزة الكبرى. لأن العقل فيه التجدد الدائم، الأفكار تتدفق فيه ولا تنفك تتدفق حتى ينتهي وجودنا، فهي الضمان لخروجنا من العبثية التي نحسها في الحياة..

إذن لِمَ لا نهتم بعقولنا ونعمل على انتقاء الغذاء لها كما ننتقي وجباتنا المنزلية ومشتريات البقالة؟ فنختار من الكتب ما تجعل عقولنا أفضل

ونقطع أشواطًا في التفكير وهضم غذائنا العقلي الذي يوفر لنا سعادة قلَّما نجدها في حياتنا المادية وأحداثها المعتادة، فكل هذا يضمن لنا أن نخرج من منحدر العبثية، ونلتحم بالحياة من جديد فتكون أفكارنا المتجددة باعثًا لتلك الروح التي دائمًا ما أحسَّت بالفتور والملل.

❋ ❋ ❋

عصر التكنولوجيا

عصر التكنولوجيا العجيب! عصر الابتعاد والاقتراب.. عصر التسهيل والتصعيب.. في سابقه من العصور كنا نأخذ شهورًا في قطع المسافات وساعاتٍ في الحل والترحال.. الآن الشهور ساعات والساعات دقائق! وما أعجبه من عصر!

هل قد ظُلمنا أننا جئنا في عصر التكنولوجيا؟ لا أعلم حقيقة سببًا مقنعًا أننا قد ظُلِمنا، لكن قولي أننا ظلمنا أنفسنا في هذا العصر.. إن التكنولوجيا هي سمة هذا العصر بكل فروعها وبكل تحدياتها المتخذة كالذكاء الاصطناعي، الذي يتوقع الكثير من الكتاب والمفكرين أن المستقبل لن يكون لنا. بل للروبوتات.

هل وصل الأمر من تقدم التكنولوجيا أن تنهي أفعال البشر وندعي التحكم فيها بشيء كالتكنولوجيا؟ نعم وصل الحال وهذا دليل على أن التكنولوجيا سمة هذا العصر..

لم يتخل البشر عن كثير من سيئاتهم وأفعالهم السيئة عند مجيء التكنولوجيا؛ بل فتحوا فيها مصادر لها.. فالإنترنت مثلًا لم يكن عالمًا للرذيلة والاتجار بالفتيات وكل الأفعال الوضيعة، ومؤسسه لم يضع في ذهنه أن الأمر سيصل لهذا..

كان من الجدير به أن يحسب حساب ذلك؛ لأن الإنسان دائمًا ما تحركه شهواته، وأينما حل في صفحة بيضاء رأينا سواده فيها.. إذن لا شك أن الإنسان لن يتوقف عن فعل السيئات، وأي إنجاز قادم في التكنولوجيا سيكون مصحوبًا بثغرات تنفذ منها السيئات.

أمر آخر أن مع الفتح العلمي في التكنولوجيا والتسهيل العجيب في أمر التعليم والتعلُّم ما زال هناك أقوام يتاجرون بالعلم ويجمعون المال منه، لا أقصد أن الأمر مشين لكن أصبح بلا أهمية مقارنة بوضع الإنترنت الحالي وما وصل كمُّ المعلومات والفائدة فيه..

والإنسان كائن عجيب، متقلب، لا يشعر بالاستقرار في مكان ما إطلاقًا، حتى الأرض مستقره الحالي أحس أنها لا تؤويه، وما يؤكد هذا

الأمر كل تلك المشاعر والأحاسيس التي تجسد شعور البعد عن الوطن وهم في جوف الأوطان وفي باطنها..

لا أقول وطنًا من الأوطان، لكن أقول الوطن الأم، الأرض.. يبحثون عن كواكب أخرى فيها حياة، يريدون شيئًا جديدًا، هم متقلبون، يحسون بالشيء مساءً ويفقدون الإحساس به صباحًا. ثبوت هذا الشعور مشكوك فيه لكن البشر عادتهم التقلب..

قد نذهب ونجيء ونرجع ونرى كواكب ومجرات وذلك لأن سِمَةَ هذا العصر -التي هي التكنولوجيا- قد سوَّلَتْ لنا الشعور بالغربة والدأب على محاولة الفرار، من كل شيء، من الألم والوحدة والفراغ والضجر والسعادة!

كان فتح التكنولوجيا غريبًا وعجيبًا، إذ حوَّل اهتمامات واتجاهات، وأخذ كل العالم يُنَظِّمُ حاله ليَتَّسِقَ مع رَكْبِ التكنولوجيا.. وباتوا في حيرة من أمرهم، إذ أن التكنولوجيا لم تَعْدُ عن كونها سمة فقط؛ بل قد

كوَّنت شبحًا وكائنًا يحيا بداخل شخوص هذا العصر، تخبئهم التكنولوجيا وتضطرهم إلى الابتعاد والابتعاد، عن عالم حافل يموج بالحياة، إلى عالم تقوم فيه الحياة بدور ساقي الخمور، وتكون المدامة هي التكنولوجيا وإن سهلت الكثير لكنه تعقيد التعقيد..

❋ ❋ ❋

ماذا يعني الحب؟

لم نُعَرِّف الحب وشعوره تعريفًا دقيقًا، ولم يستطع عقل الإنسان أن يحصره في بضع كلمات.. وكيف نحصر الحب وهو الشعور المسيطر والمسيِّر معًا؟! فالتعريف عن الحب سيكون بعض أوصاف لحالات شخصية بعينها، وبعض آراء في تجارب ذاتية للعشاق... لكن نتفق جميعًا أن الحب قوة وهي قوة مغيرة، تأتي على الجماد فتحركه، وتصل الأرواح ما تباعد منها بشعور لطيف من الشوق والحب، يحسسنا بقرب من بعدوا، وحياة من ماتوا..

وإن لم نستطع عرض تعريف للحب، وأصبح شيئًا شبه ميتافيزيقي لنا، فذلك لأن البشر يحسون أكثر مما يفكرون، ويعيشون التعاريف والقوانين أكثر مما يقولبونها.. والبشر عانوا الأشياء وجربوها قبل أن يكوِّنوا فكرة عامة تجاهها، وقبل أن يصوغوها في شكل نظريات وتعريفات.

ولما كان الحب من الأشياء التي تعرضنا لها بفكرنا ودأبنا على وضع تعريف لها ولم نقدر على شفاء شغفنا بالتعريفات والأفكار، جربناه ببراعة وتطورنا في الشعور به، ودخلنا في ذلك ساحات الحب من أوسع أبوابها..

والبشر بحكم تكليفهم واستخلافهم في الأرض مهيؤون لتقبل كل أنواع الحب حتى أكبرها وهو حب خالق الكون، فقلوبهم مهيأة لكل ذلك، وذلك يبين فيما يبين أن الإنسان لديه قدرات كامنة به، إن حررها حاز الكثير والكثير وغيَّر شؤون حياته..

وتجاربنا في الحب بكل أنواعه، توضح لنا أنه القوة المغيِّرة والمسيِّرة أكثر من غيرها، فلو استقصينا وتتبعنا كل حركات الإبداع لرأينا أن وقود الحب هو الذي أشعل في أصحابها هذه القدرة الخارقة..

ولو تتبعنا المعارك والحروب التي دارت في الأرض وكانت من البأس أن نتوقع الإحجام من طرف أي عاقل عنها، إلا أن الجنود حاربوا باسم الحب لدولتهم أو لعقيدتهم أو لملكهم وغفلوا عن أمر

المعقولية في هذه الحروب، وكذلك أمر الكره، فهو ضد الحب وهو منه أيضًا.

فالإنسان الذي يحب، يقدر على الكره وقوة الحب إن عكسناها تعطي لنا قوةً غاشمةً ساحقة وهي الكره... وبالمثل الكره إن تتبعناه وجدنا أنه كان سببًا في نكبات وكوارث بشرية تزري بالنفس الإنسانية.

فالحب إذن قوة، وليست كأي قوة؛ بل هي القوة المتحكمة في تصرفات وسلوك بني البشر جميعًا، صغيرهم وكبيرهم.

وأخص بالحديث حبًّا يسود حاليًّا ويبقى ببقاء الإنسان، وكان وما زال يجربه بنو البشر، على قصد منهم أو من غير قصد.

وهو الحب بين الرجل والمرأة.. الذي إن سلك طريقًا صائبًا كان خيرًا، وإن كان طريقه سيئًا، كان وبالًا وإثمًا على المحبين.. فالحب حتى وإن كان شعورًا مقدسًا، فتخالطه أهواء من النفس وشهوات، لا تلبث إلا أن تكون منقصة ومشأمةً لهذا الحب.

وقلت إنه "يأتي عن قصد أو من غير قصد" لأنه شعور، والمشاعر لا تحكم للإنسان فيها، ورغم أنه لا يتحكم فيها، إلا أنه يقدر بالتودد والتفكير في الشخص مرارًا والنظر فيما يجعله جميلًا -بأي مقياس للجمال- يمكن الحب بالاختيار... فالحب لا يخضع لقانون كما قلنا، ولا يحده تعريف، فقد يأتيك بإرادتك أو قسرًا من غير إرادة..

وهذا يوضح لنا حكاية (الحب من أول نظرة) فقد تعبر عن ذلك جيدًا، فقد يلفتك تصرف جميل أو لمحة خاطفة.. لكنه حبٌّ دعائمه هشة؛ لأن صاحبه قلبه كالواي فاي يلتقط أي شبكة يرى بها إنترنت، وإن لم يستطع الدخول إليها!

وما قاله العقاد أن (الإنسان لا يحب حين يختار ولا يختار حين يحب) قد يكون صائبًا أحيانًا، وقد يخطئ لأن الحب لا يخضع لقانون وتعريف محدد... إلا أن هناك أساسيات تمكن الحب من النفس وتجعله عذبًا مستساغًا بها، منها الكثير، على سبيل المثال الاهتمام والقرب، فالحب بغير اهتمام أعرج؛ لأن الاهتمام عكاز للحب يتوكأ عليها.. والقرب

أيضًا أمر حاسم في الحب، لذلك قيل "الغياب القليل يحمس الحب، والكثير يقتله"

وفي أمر الحب فكريًّا وفلسفيًّا وشعريًّا وأدبيًّا الكثير والكثير. فقط من يبحث ويطرق الموضوع، وما قلته بالأعلى كان عددًا متواضعًا من الأفكار التي دارت بذهني وأردت أن أفردها.. ويبقى الحب ويكفينا الحب.

❋ ❋ ❋

رأيٌ في الحب

الحب طاقة، تزداد بحسن التعامل والاحترام المتبادل. إذا وجدت شخصًا يعطيك ما تحب، فهو موطن للحب وسيميل إليه قلبك..

والحبُّ كحبل السرك، لا تستطيع الاستمرار في الوقوف والتحرك إلا بعد التدرب الشاق، وليس كل شخصٍ ينال الحب؛ بل المؤهلون للحب هم من ينالونه، ورغم صعوبته إلا أن النفس تعتاده وتحيا في كنفه مطمئنة أكثر... والحب له مقدار من الجودة، كالعملات فيها المزيف والحقيقي...

والحب الحقيقي يبقى؛ لأنه من جذور وبواطن المشاعر، وما اعتراه الزيف، فخريف واحد كفيل بقتله.

❋ ❋ ❋

(السناجل)

يقرؤون شعر الحب!

دائمًا ما نرى أشخاصًا لم يحبوا ولم تكن لهم نَفْسٌ يتواصلون معها ويلتحمون بكلامها، ويمتلئ قلبهم حبًّا ووَلَهًا بها، يسمعون شعر الحب وينشدونه ويتملُّون فيه، كما لو أن ما بالشعر قد عاصروه وخَبِرُوهُ بالتجربة.. ما سر هذا؟

الحقيقة هو نوع من المحاكاة المصطنعة التي يحاولون فيها تجسيد مشاعر لم توجد من قبل، هذا في حالة الشعر الذي يحتوي على مواقف العشاق ولقائهم وفرحهم ببعضهم.

أما شعر الهجر والصدود فغير المحب (السنجل) يعرفه جيدًا، رغم أنه لم يفارق أحدًا.. إلا أن وحدته تملي عليه شعورًا غريبًا أشبه ما يكون بأن أحدًا ما قد تركه ورحل عنه.. وأحيانًا يفيض به الحزن ويحزن أكثر من المُحِبِّ الذي فارقه حبيبه وليس ذلك بعجيب أبدًا!

وهذه المحاكاة موجودة بين الشعراء ذواتهم أيضًا، فقد ترى الشاعر يحاكي عاطفة ما على سبيل المثال عاطفة الحب ولقاء الحبيب.. يحاكي عواطفها وينسج من خياله ما تكون عليه وما يكون من غبطة وسرور في اللقاء ومِقَةٍ للحبيب..

وقد يحاول (السنجل) أن يملأ نفسه من الشعور ويشبع رغبة شبيهة بلقاء شخص يحبه من خيالٍ.. فتراه يشاهد أفلامًا رومانسية.. يقرأ شعر نسيب وغزل -إن كان يقرأ- ويسمع أغاني الحب والفراق والبعد ويمثل حاله بمثل حالها.

فأن تكون (سنجل) لا يعني أن تكون وحيدًا مهملًا غشاءً مسطحًا.. ماء راكدًا سيتبخر، كيس ملح في شارعٍ فارغ في منتصف الليل.. لا يعني كل هذا..

يجب أن تشعر بالفردية والاتحادية مع نفسك أكثر.. ويجب أن تقرأ شعر الحب لتستخرج البديع منه فقط.. ولا تهتم بما فيه من مشاعر حتى لا تحاكي شيئًا لم تحس به.. وتكون مقلدًا، فيأتي وقت الحب وتسخر من

نفسك أنك توهمت أن الحب بهذا الشكل.. وبالعكس الحب غير ما شعرت به جدًّا، وغير ما دار في خُلْدِك.

وإذا سمعت أغاني الحب فاسمعها لحلاوة وطلاوة الصوت، لا لأن كلماتها تجسد حالتك النائية.. كل ما قيل بالأعلى يدلنا إلى شيء، أن ما لا تعرفه وما لم تحسه اصمت عن الحديث فيه.. وليكن حديثك كمن يُدْلِي برأيه في اجتماع وهو ليس من أعضاء الاجتماع.

واقتصد من وقتك الذي تضيعه في خيالٍ سارح إلى يوم لقاء من تحب، أو الأدق من ستحب.. نسيت أن أقول حالة: الحبل المقطوع من الوسط وأقصد هنا (**half Loved**) وهو الذي يحب من طرف واحد فقط.. ولا يبادله غيره بنفس الشعور.. ما الأمر فيه؟

ليس عليه ذنب في هذا.. لكنه اختار أن يحب وحده، وبالتالي اختار العذاب، وحقه أن يُشْبِعَ ألمه من شعر الصدود والهجر، ويذهب إلى الشعراء الذين عاشوا وماتوا وأحبوا الجميع ولم يحبهم أحد...

تبقى أن أقول شيئًا.

في النهاية، لا تأسف على نفسك لأنك لم تُحِبْ حاليًّا.. فمن الممكن أن تعشق وتموت عشقًا غدًا.. ولا تظن أن وحدتك أبدية، فربما تأتي لك فتاة تسامرك تحبها وتحبك، فلا تقلق..

لكن لا تحاول أن تظهر كالمُحِبِّ وأنت لست بمحب.. واحفظ شعرًا كثيرًا في الحب لكن احرص على شعر الحماسة والشجاعة.. لأن الوطن يحتاج للشجاعة أكثر من (الارتباط).. وابدأ الآن الشعور كما لو أنك هذا القمر بالسماء، ولا تنسَ أن هناك شمسًا تمدك بالضياء وهذه الشمس هي: شمس الحب الإلهي...

الصديق تناسق روحي

في البداية، كنت أفكر في الكمِّ الكبير من الأصدقاء المحيطين ببعض الناس، وأتعجب كيف يُبدي لكلٍّ منهم اهتمامه ويعطيه حقه منه... نظرًا لأني لم أعتد أن أحيط نفسي بالكثير من الأشخاص، فهذا كان أمرًا غريبًا حقًّا..

وتساءلت فيما تساءلت ماذا نحتاج من الصديق؟ وهل الصديق يجب أن يكون واحدًا؟ أم يكثر بكثرةِ ما نريد؟

الأمر بدا أعمق مما تصورت، تخيلت الصديق بالمعاني الضيقة، شخصًا معك، تتجول معه وتشربون وتأكلون سويًّا..

هذه النظرة كانت شفافة، والأدق كانت كما ننظر لفيلم من الأفلام ونحس به ونشعر، لكن لم ندخل للعمق، ولا نستطيع حتى أن نشم رائحة مكان التصوير..

الصديق شيء في العمق، عرق مجاور لعرق الحياة في القلب.. خليل للروح قبل أن يصاحبك بجسده ويسير معك، هناك ائتلاف وتناسق

بينكما حتى ولو طباعكما مختلفة قليلًا، هذا هو القصد المبين في لفظ الصداقة، ليست سعادةً فقط، ولا مساعدة فقط؛ بل هو تناسق روحي أكثر ما يكون..

وهذا سلك بي أن أفكر في حاجاتنا في الصداقة. دائمًا ما نبحث عن التشجيع، عن المساعدة، عن الاجتماع الجميل، النافع للأرواح، وكل هذا نلقاه في الصداقة.. مدلولها كما قلنا بالأعلى والمدلول يلتقي مع الحاجات، لأننا لا نسرح بأفكارنا ونخلق مدينة فاضلة كمدينة أفلاطون؛ بل نشارك المجتمع علاقاته ونحلل ما هو حريٌّ بالتحليل، لنكوِّنَ إطارًا نضع فيه الصديق، وأي معنىً نريده.

والأمر ليس أمر أعداد، فما تعجبت منه أمر عادي، يتاح لأصحاب طباع محددة، تؤهلهم أن يضموا إليهم رهطًا وأكثر، وتؤهلهم حاجاتهم لتوفية حقوق الاهتمام لكلٍّ منهم.. وتسألني هل الدنيا مصالح كما يُقال؟ وأقول: نعم الدنيا مصالح، والمصالح هي المحركة لحياتنا وهي تروس في ماكينة الحياة، ولا تغني التروس عن البنزين أو الكهرباء، كما أنها لا تغني عن الآلة نفسها بتقنياتها.. هي مصالح وحاجات تُسَيِّرُ

حياتنا، وتوطد علاقاتنا أكثر فأكثر، والغبطة والسعادة لا تأتي من الحب المحض؛ بل يزيدها ويعمقها إرضاء النفس في المصالح والغايات...

فالعدد ليس بالمانع للاهتمام بتاتًا، فالاهتمام ليس شيئًا له نهاية، يمكننا تتبعه وإحصاؤه، فالمجلس الذي يضم عشرة أصدقاء مثلًا، يكون الاهتمام مسيطرًا عليه من الأول للأخير، فالضحكة عندما تخرج لا يخطئها الاهتمام؛ بل تدور على كل الآذان فتعطيهم حقهم من الاهتمام، والمودة...

طباعُ النفوس تتباين..
حتى في الحب

في نفس الوقت الذي يطلب فيه الناس الحبَّ والقرب ممن يحبون، ويتهافتون أن ينالوا لمحةً منهم أو يسمعوا ولو صدى أصواتهم، هناك آخرون يطلبون من الحب الإباء والممانعة الشديدة التي تشعرهم أنها تمكِّن الحب وتزيده قوةً إلى قوة..

وفي اللقاء حلاوة كما يتفق الجميع، لكنَّ هناك فئة تؤمن بحلاوة النأي والبعاد، وترضى بالبعد رغم المحبة؛ ليختبروا شدة حبهم وولعهم ببعضهم البعض.. كما قال الشاعر:

ما أحلى الهوى ما لم تَنَلْ فيه المُنَى والحب أعدلُ ما يكون إذا اعْتَدَى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق مَنْ لا يَمُدُّ إلى مُوَاصلةٍ يَدَا

هذا حقٌّ! أترى؟، لا يسير الناسُ على نهجٍ واحد، والحبُّ وأساسه الوصال، لا يلتذُّ له بعض الناس إلا بالبعاد!

هذه النظرة تؤيدها دلائل كثيرة، منها أن الشعراء في التياعهم وحرقتهم ومكابدتهم الشوق والمحبة، كانوا أكثر ما كانوا في بعاد وهجر..

وأن الشيء الذي نملكه دائمًا ونعتاد وجوده لا يثير فينا التطلع والفضول مثل الشيء المجهول، والشيء الذي لا يُنال إلا بعد مباغتة وجهاد.

ويؤكدها أيضًا أنَّ المحبِّين لا يدركون قدر حبهم ويحسونه إلا عند البعاد.. وأن الشوق والافتقاد هو ما يحيل إلى المحبة قيمتها الحقيقية، وكما يقال "لا نعرف قيمة الشيء إلا بعد فقده".

فاللقاء يكون طريقًا للحب، والبعاد والإباء عن اللقاء طريقٌ للحب أيضًا عند بعض الناس..

والقرب الدائم يقلل الشوق الذي بدوره هو مناط تقدير الحب، وقليل من البعاد يحرك في النفس لوعات الحنين واهتزازات الشوق التي تعزز الحبَّ، وتجعل اللقاء بعد البعاد كالشرب بعد الصيام، فيه من اللذة والترقب ما لا توجد في الوصال الدائم.

❋ ❋ ❋

النظرية والواقع

النظرية تختلف كثيرًا عن الواقع وتطبيقها، فكم من نظريات أخذت مجرى في عقول الناس، لكنها لبثت هناك في ركن مظلم ولم تخرج إلى الواقع.

والإسلام عندما خرج إلى النور أول مرةٍ تتبع نهجًا قويمًا في تثبيت العقيدة في النفوس، فكان تطبيقيًّا أكثر ما كان نظريًّا، فكانت الآيات تنزل متفرقات، وكل آية تنزل يترسب حكمها وما ترمي إليه في نفوس المسلمين.

فكان للمسلمين منهج وعقيدة تثبت في نفوسهم قبل أن تكون في عقلهم نظريات يتهافتون على مداولتها والجدال فيها مثلما يحدث في علم التوحيد من مجادلات، رغم أن التوحيد هو القاعدة التي لا بد أن تطبق على السلوك والوجدان والنفس أكثر مما تطبق في العقل على هيئة نظريات وحجج.

وهذا يبين الاختلاف بين الأطوار الأولى للإسلام في النفوس، وما بدأ يحدث في عصرنا هذا من الابتعاد عن التطبيق والعمل بالإسلام إلى الأخذ بالأحكام النظرية منه.

وتعرض المسلمون الأوائل أول ما تعرضوا إلى التكوين الإلهي بعقيدة "لا إله إلا الله" قبل السير على أية أحكام ومعاملات، فقد لبثوا سنين يؤدبهم الله بتعاليمه ويصقل عقيدتهم من أدران الجاهلية وفسادها، وبعدها بدأت آيات الأحكام تترا عندما وُجدت للمسلمين دولة يقيمون بها ويواجهون أعداءهم منها..

مما مضى يتضح أن ما يحدث في واقعنا المعاصر من اتباع لبعض المعاملات والتمسك بها أكثر من التمسك بأسس العقيدة الإسلامية، والمواجهة على بعض الأمور وقلة الالتفات إلى مبدأ التوحيد على سبيل المثال، وتبرئة العقيدة مما يحيطها من شكوك العصر، سوء المأخذ على المسلمين، وانشغالهم عن الطريق الأمثل اللازم اتباعه لتحقيق الغاية القصوى من الإسلام، وهي التكوين في النفس والتخمر فيها وظهور أثره على الأفعال وعلى مظاهر الناس من الخارج قبل أن يظهر كبعض

الأفكار والنظريات في عقولهم، والاهتمام بما هو أجدى وأنفع للمسلمين..

في النهاية أقول إن النظرية في العقول كالبذرة التي تنتظر بعض الماء والتربة المناسبة، لا أهمية لوجودها إذا لم يوجد غيرها من العوامل، والتطبيق لهذه النظرية هو الغاية المرتجاة التي لا تماثلها غاية.

❋ ❋ ❋

العقائد شُعَلُ المجد

تُرى كيف تؤثر العقائد في الحياة؟! ما هذه الأهمية الحاسمة التي تلعبها العقيدة في حياة الأمم فترفع منها ما ترفع وتحط منها ما تحط؟ تُرى لماذا تهافت مشركو قريش على عرض المال والمتاع وكل الحياة المادية برمتها على الرسول ليتخلى عن العقيدة؟ هل أدركوا كيف تؤثر العقيدة وكيف أن تسفيه عقيدتهم يضاهي تسفيه حياتهم ونفوسهم؟!

لقد فطنوا وفطن غيرهم أن العقيدة مناط حياة الأمم، كنزها الدفين الذي تلجأ إليه في الضوائق والشدائد، ربما فقدوا مالهم وصيتهم الاقتصادي وفقدوا السياسة وتسيير القبائل! لكن إذا فقدوا العقيدة فقد فقدوا كل شيء..

هذا ما فكروا فيه! كان المرء منهم يحيل أمر حلِّه وترحاله إلى الآلهة -كانت الآلهة والأصنام عقيدتهم- وإذا جاء الأمر وفق ما قد وضعوه لأنفسهم فقد يرحل وقد يبقى، وقِس على هذا باقي أمور حياتهم، فقد كانت العقيدة عندهم حياةً تؤثر في حياتهم الخارجية وفي كل شيء.

لذلك لم يتخل الرسول عن الدعوة إلى الله وإلى عقيدة الله، لأن الأمر لا يبدو بسيطًا مثلما يبدو للناظر بسذاجة. لا يكمن الأمر في الذهب ولا في الفضة ولا في السيادة.. الأمر يكمن في القلب وما ينبت فيه من يقين بالعقيدة وبما يريده الله.

"والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته" رد النبي على عمه بعدما عرض عليه قومه كل شيء من حكم ومتاع ومال... كان هذا ردُّه ورد المؤمنين الصادقين من بعده، لأن عقيدتهم هي أمرهم كلُّه ولا يُقاس إليها أي أمر كان، فوجودهم ينطفئ بمجرد أن تنطفئ العقيدة في صدورهم.

أما إذا ظلت متقدة حتى لو كان كل ما حولها يحاول إخمادها، فستشتعل في الصدور وتحرك النفوس، فيصولون بالحق وسط الشرك والضلال ويمحونه كمحو الشمس للظلام الدامس. هذه العقيدة هي حياة الأقوام، لا تجد قومًا بغير عقيدة، كيفما كان شكلها، في مبدأ سياسي أو اقتصادي، في دعوة باطلة، في مذهب هدَّام، في خرافة، في صنم من العجوة.

أيًّا كانت العقيدة... ساذجة، أو عظيمة، فهي تؤثر وتتفاوت في عظمتها بتفاوتها في مصدرها المشرِّع لها والآتية منه. فإذا أوقدنا في نفوسنا العقائد الحقَّة يُوقد المَجد ويعلو ونعلو معه، حتى يرونا كالنجوم تفيء عليهم بالنور ولا يقدرون على الاقتراب منها...

وإن أغشوا وغضوا الطرف عنها، فهي موجودة لا محالة.

"كنتم خير أمة أخرجت للناس" وخير أمة لأنها خير عقيدة..

الافتتاح العظيم
لقناة السويس ١٨٦٩ م

ليس عصرًا ممتدًا لحقب طويلة؛ لكن من واقع ما حدث فيه فهو يشمل بعظمته ويفوق عصورًا أكبر منه في المدة وأوسع في المكان. وآثرت أن أحلق بفكري وخيالي وأعيد مشاهده مجلوة متضحة كأفضل ما تكون.

في أيام مثل هذه الأيام، متقلبة المزاج في طقسها. كان العمال دائبين في حفر قناة السويس، حكمهم نظام السخرة الكريه، فقد جلبوا الفلاحين من جميع أنحاء مصر إضافة للسودانيين.. لقد عانى الجميع لأجل خطة سياسية وضعها المهندسون الإنجليز وعرضوها على سعيد باشا والي مصر الذي شرع في تنفيذها.. وانتهت أعمال الحفر في عهد الخديوي إسماعيل بعد أعوام من الجهد والتعب... الخديوي إسماعيل الذي تندر به المصريون لعظمته وبذخه، وكانت لقصوره حكايات تروى على مسامع الجميع لما فيها من الترف والأبهة.

اتجه الخديوي لدعوة ملوك أوروبا والعالم لافتتاح القناة، وكانت برقية الدعوة من الفخامة أن تسلب أنظار الجميع..

حدث مرتقب في مصر ستهتز له جنبات العالم، وسيؤم الصحافة العالمية ويركز بؤرتها عليه لأيام وأيام.. دعا إمبراطورة فرنسا الملكة "أوجيني" وإمبراطور النمسا وولي عهد بروسيا وغيرهم.. ودعا معهم رجال الأدب والساسة والفنانين من جميع أنحاء العالم، فكان عدد المدعوين يربو على الألف.. وأرسل الخديوي في جميع أنحاء مصر لتأتي العائلات والأهالي ويصطفون على شاطئ القناة ليرحبوا بالزائرين والحضور..

كان المنظر مهيبًا عندما وصلت الأساطيل إلى بورسعيد يؤمُّهُم يخت "إيجل" مقلًّا الإمبراطورة زوجة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وبجانبها "ديليسبس" صاحب الباع الكبير في فكرة القناة. انطلقت المدافع والصيحات ترحب بالمدعوين جميعًا، طلقة وراء طلقة في جو مشمس بديع توسطت فيه الشمس كبد السماء..

حتى وصلوا إلى الجسر الذي يعبرون به إلى الشاطئ حيث السرادق الضخم الذي أنشئ، فوقه أبهى أنواع السجاد مزينة ومزركشة بالزبرجد

واللازورد.. يعكس أشعة الشمس الذهبية فترتد لأبصار الناس، يملؤه البهاء وتحفُّ حوله العظمة.

كثرت الاحتفالات وتنعم الجميع ونُصِبت الموائد الواسعة فيها كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب.. قيل أن عدد الطباخين بلغ خمسمائة طباخ، وهذا يكفي ليبين لنا عظمة الحدث وعظمة الاستعداد..

وانتهى اليوم الأول الذي بكت فيه الإمبراطورة (أوجيني) وقالت "في حياتي لم أر شيئًا بهذا الجمال " لقد سعدت مصر وسعد أبناء مصر جميعًا واحتفلت البلاد بفتح كبير.. قناة السويس.

لست بصدد رواية التاريخ من جديد، لكنها حقبة حريٌّ بنا أن نتخيلها ونعايشها مجددًا، نعايش الأساطيل والجمع الغفير الذي اخترق قناة السويس واتجه إلى الإسماعيلية حيث استضافهم الخديوي في قصر رحيب، كأنه خيال من الخيالات التي سمعوا عنها.. تبدو فيه الأبهة بأسمى معانيها..

احتفالات دامت أربعة أيام لكنها تضمنت أحداثًا يهتز لها القلب ويُسحر بها الخيال.. لقد تمنيت مرارًا أن أتواجد في تلك الفترة وآتي مع

الوفود المصرية وأرى الأساطيل وهي في القناة وغاية الاحتفال العظيم الذي أقامه الخديوي، وتمنيت أيضًا أن أنضم لتلك المائدة الكبيرة..

لا يكرر الزمان نفسه بالتأكيد، لكن ألن يتكرر في العقول ويحيا كوحيٍ من خيال حتَّى في أذهان المحبين للماضي، المأخوذين بجلال أحداثه؟ بالتأكيد سيتكرر في عقولنا.

فقط افتح كتابًا للتاريخ، وغص بخيالك.. فتُفَاجأ أنك معهم، أنك هناك.. خلف حُجُبِ الحاضر ووراء أسطورة الزمن.

التاريخ حياة للحياة..

وُلِدنا لا نعلم شيئًا عن ماضينا ولا نعلم من نحن ولا ما هويتنا.. أخذنا في أطوار النمو وبدأت الذكريات تتراكم في عقولنا لكنها ذكريات قاصرة.. كل ما تدور حوله هو الواقع والحاضر المعاصر الذي نراه أمامنا ونعايشه كل دقيقة، كان الأمر مملًّا، نعم كان مملًّا! تخيل أن تكون شخصًا معدوم الاتصال بالماضي.. شعور مؤسف يُرثى له.. فكل شيء يبحث عن وجوده وثباته بماضيه.. الماضي هو ما يثبت هويتنا في الحاضر لكنه لا يشكلها التشكيل التام..إذن ما أهمية دراسة التاريخ؟!

أوتسأل إذن ما أهمية دراسة الحياة؟!

فالتاريخ ما هو إلا رواية لحياة من سبقونا بتفاصيلها.. لا تُروى لإزجاء الفراغ؛ بل للعظة والاعتبار والسير على غرارهم. إذن أن ندرس التاريخ يعني أن ندرس الحياة، ودراسة الحياة ضرورة لا مناص منها أيًّا كانت تلك الحياة، في الحاضر، في الماضي، حياة بدو، حياة همج.

كل تلك الحيوات دراستها توسع آفاق أنفسنا، وتمد حاضرنا بمورد من الثبات والرسوخ وسط الصراع المريب.. وكأن التاريخ يحدثنا ويقول لنا: هكذا كنا، فكيف ستكونون؟

وأحسب أن دراسة التاريخ تبين لنا كيف نتفاءل بالحاضر ونستشرف الخير بالمستقبل، فالتاريخ حاوٍ لنكبات وهزائم مريرة عانوا لأجلها معاناةً شديدة..

اسرح بخيالك معي تخيل حال المصريين في عهد الهكسوس، وما عانوه من الاضطهاد.. كيف تخطفت طيور اليأس قلوبهم؟ كيف كانت الأمهات تتحسر على هزائم أبنائهن؟ إنهن أمهاتنا، هم أجدادنا.. نحن منهم.. كيف لا نحس بهم؟!

تخيل عِظَم المأساة ثم تخيل بصيص النور وهو يتسلل إلى القلوب من شخص عزيمته حديد.. لا يَكِل ولا يَمِل عن التفاؤل. فالتاريخ يوردنا ساحة التفاؤل وساحة المجد، يُريك كيف تقدموا، وكيف ازدهروا.. فلِمَ لا ندرس التاريخ إذن؟! ونضيف من حياة السابقين لحياتنا ومن تجاربهم لتجاربنا.. فما السابقون إلا نحن...

كُتُبُ التاريخ تحوي الحياة والمجد.. تحوي قَبَسَ النور للحاضر المظلم وشعلة الهداية... فلو أنَّا تخلينا عن دراسة التاريخ فنحن نتخلى عن دراسة الحياة، ومن يتخلى عن دراسة الحياة فهو عبء عليها، والأفضل أن تلفظه الحياة خارجًا.. ويموت ويندثر لأن هناك من هو أحق منه بها...

❋ ❋ ❋

توديع الشتاء

بصمات الشتاء التي يتركها علينا، ليست دائمًا قاسية كما يتصورها البعض، فإن لمسات الشتاء ساحرة وبراقة.. تسري في عروقنا، فعندما تحس بالبرودة فلا تتبرد مشاعرك طبعًا؛ بل تحس بانسياب فيها وحنين إلى الماضي البعيد، حنين إلى ما انقضى من الزمن الغابر.. وحنين إلى المستقبل الآتي، وارتياح للحاضر المتحرك.

وكما لو أن الهواء البارد يلامس الأفكار والمشاعر ويدفعها برقة، ويجعلها تحن إلى الدفء والطمأنينة، فتلبس الأفكار لنا أثوابًا جميلة وتظهر لنا إبداعية أكثر.

لا أعلم ما بإمكان العلم كشفه عن الشتاء.. لكن أظن أن دوره قد انقضى وأتى الدور للتأملات الفلسفية، وعلم النفس لكي يدرس أثر الشتاء في نفوس البشر.

❄ ❄ ❄

قيمتنا في أحزاننا

أسفنا يجب ألا يكون على خسارة منصب أو مباراة، أو خسارة شخص لم يقدم كثيرًا. أسفنا الواجب أن يكون على خسارة ديننا وأهلينا وإخواننا وأراضينا المقدسة.

وحزننا على ما فقدناه من مكانتنا وسط الأمم هذا هو الحزن الأصلى. لن نبلغ المقدار الذي ينقلنا إلى التقدم إلا عندما نتخلص من هذه الزركشات عديمة المعنى، عديمة القيمة، ونلتفت إلى القيم العظمى، قيم المحبة والإخاء والتسامح، فحزننا يجب أن يكون على من يناضلون لاستعادة شرف واستعادة موطن، من يناضلون من أجل الحرية ومن أجل حياة حرة كريمة، ويموتون في سبيلها ويخسرون كل نفيس. إذا كانت معاني إنسانيتنا ركيكة إلى هذا الحد، فحريٌّ بنا أن نحاول أن نعدل منها. ونصوغ لحياتنا قيمةً أكبر ولأحزاننا كذلك، فحزن المرء يبين مدى علو نفسه أو دنوها، فهناك من يحزن على تفاهة كما قلنا، وهناك من يأسى على الناس ويحتوي قلبه أشجانهم وأمانيهم..

❋ ❋ ❋

كأس الحياة

عُرِض عليَّ كأسُ الحياةِ فذقت بعضه.. وجدته سائغًا حُلوًا فلم تعجبني حلاوته.. فقلت سآتي ببعضِ الحزنِ وأضعهم كي يتزن المذاق ويعمل عَمَله في النفس. فالحزن أحيانًا يكون نجاةً من سعادةٍ وهمية كانت ستعود عليك بحزن أكبر وثغرة في قلبك يتسرب منها البؤس، فلم أعجب من نفسي وأنا أطلب الحزن في لحظات السعادة، وليس ذلك من تضييق لمنافذ السعادة وسد لِمسامِ تدفقها؛ لكنه عزوفٌ عن سعادة قد نعلم بعد حين أنها ستفارقنا في هذه الدنيا المائجة بالمشاعر، فكان مني أني أضفت بعض الملاعق من الحزن على كأس حياتي.. فأن تحزن أحيانًا أفرج لك وأروح من أن تفرح أحايين ويجيئك حزنٌ مفاجئ يحيلك بقايا سعادة...

❋ ❋ ❋

الفلسفة للمتخصصين

العمق في الفكر تجسده الفلسفة، فهي تنفذ إلى ما وراء الواقع، وما وراء المرئيات، وتحلله وتخرج لنا هذه المعاني العميقة المُدْرَكة بالفكر في ثوب النص مطرزًا بالإشكال والمصطلحات. لأن ما يُدْرَكُ بالذهن يَتكَلَّف مجهودًا شاقًّا لإخراجه، حيث إنها معانٍ محضة وجودها في الواقع غير محسوب كثيرًا، فلا هي تدخل في المعاملات اليومية والعلاقات الشخصية. لذا هي تحتل الكتب وأذهان الفلاسفة والمفكرين فقط..

❋ ❋ ❋

مجتمع تعلَّم الأزورار

في مجتمع ينزل جحره ليلًا إذ حمي الوطيس، فهو لا يستطيع محاربة ذوي الضمائر الخبيثة والعقول المريضة.. غايته في الهجوم سِلاح وقوس وبعض سهام. يواجه بها من؟! ضعيفًا مثله؟! حتى إذا ما نشبت مقاومة رأيته يأخذ القهقرى ويرجع على عقبيه ثانِيًا عَطْفه.. يحلل ما قد حُرِّم، فلا هو إسلامي تمامًا، فهو مقلِّد الغرب ومقلِّد الفساد، إلا أن ما يحافظ على هويته تلك المصاحف والقرآن الذي يتم تشغيله في العربات والميكروباصات والعزاء..

أهويتنا هنا يا سادة! لا والله ليست هنا؛ بل مهوانا هنا، وموضع الزلة هنا..

❋ ❋ ❋

ستيفن هوكينج ملحدًا

قال ستيفن هوكينج في تقديم كتابه التصميم العظيم:

"إن للكون تصميمًا وكذلك هذا الكتاب. لكن على خلاف الكون فإن الكتاب لا يظهر تلقائيًّا من العدم، فالكتاب يحتاج إلى خالق"!! لقد أخرستني كلماته بالفعل، ليس من رصانتها ومنطقيتها؛ بل لأنها خالية جوفاء من الحقيقة.. خالية جوفاء من المنطق السليم.. تُرى كيف لم يدرك مثل هؤلاء العلماء ذاتًا عظيمة كذات الله؟!

تُرى كيف فسروا الوردة وهي تبتسم والفجر والشمس وهما آتيان يختالان ويبتسمان لنا.. كيف فسروا كل هذا الجمال؟! كيف قالوا عن الكون أنه جاء تلقائيًّا؟! ما الذي حجبهم عن الحقيقة لهذه الدرجة؟!

لقد رحل ستيفن هوكينج وحزن عليه الكثير، لكن في مأتمه يجب أن نذكر.. ونقول مع العالم جون لينكس "إن الهراء يظل هُراء حتى لو تفوه به مشاهير العلماء".

الإلحاد والعدمية في يومٍ من الأيام ما تستند عليه وعكازها الأمين سيهشم، وسيبكون بحسرة.. لأنهم كانوا هنا في ملكوت الله لكن عقولهم كانت هناك في وهدة الشهوات، وفي درك مظلم من اللاشيء.

فحجبهم كل ذلك عن إدراك الجمال، وإدراك مدى ما بثه الله في الكون من دلائل.. رحل ستيفن هوكينج وسنرحل نحن أيضًا لكن سنلتقي مجددًا في يومٍ شديد على كل الخلائق.. ستنشر صحائفنا ونرى أينا أحب الحقيقة ولم يُكابر!

❋ ❋ ❋

البلاغة والناس

رغم جهل العجم بألفاظ اللغة العربية، إلا أن القرآن تأثيره فيهم عظيم، وعندما يقرؤونه بلغتهم يتأثرون أكثر. فما بالنا نحن العرب الناطقون بالضاد لا يفعل القرآن فينا فعله في غيرنا؟! أنكون قد تراخينا في إدراك جميل لغتنا فحُرمنا ما شبع به القرآن من بلاغة وبيان؟

في خاطر كثير من الناس أن البلاغة حكرٌ على دارسي العربية ومدرسيها فقط، لا التفات لها من قبل الشيخ الطاعن أو المهندس أو الطبيب مع أن هذا خطأ فادح.. البلاغة إن كانت مفيدة فستكون لهم قبل غيرهم؛ لأنهم أهل اللغة والناطقين بها. ولأن البلاغة لها من الأثرِ عظيمه ومن شحذ ودفع الناس لتحقيق المستحيل باعٌ كبير، فلهذا شُبع القرآن بالبلاغة.

والبلاغة لم تكن في القرآن لتعجز العرب فقط؛ ولكن لأن فعلها في النفوس عظيم، ولكي نأخذ كل ما يعطينا القرآن يجب علينا أن نرى

البلاغة ببصيرتنا، ونتعلمها ونتمرس عليها في حياتنا. فالبيئات العربية أكلتها العامية وغشاوة الجهل باللغة وغيرها. ففشلوا في إدراك آثار البلاغة على النفوس. فالمتداول في البيئات من حديث تفغر به الأفواه يشين أحيانًا كثيرة ويبعد الناس عن الإحساس الراقي بما يتحرك في كل شيء من جمال خلاب.

حقيق بنا أن نعود للغتنا فعندها سنعود لديننا، فالصلات بينهما متقاربة، والولوج في أحدهما يحتم عليك الولوج في الآخر.. فلتكن البلاغة لنا غاية، ويكون تطبيقها غاية أشد طلبًا من طلب علم البلاغة نفسه.

سقم العقول

العلم لا يُشترى، لا توجد أسواق للعلم. إني لأرى أقوامًا يبيعون العلم.. بالله عليكم هل هناك نعمة من الله تُباع وترفعون أسعارها لا لشيء إلا لجلب المتاع الدنيوي الزائل؟ العلم نعمة ممنوحة من الله للبشر تكشف لهم عن الأمر الحقيقي وتيسر لهم دنياهم، لقد رأينا جميعًا أعاظم المعلمين وهم الأنبياء والصالحون تركوا علومهم ونصائحهم لله ولم يأخذوا عليها أجرًا في هذه الدنيا القبيحة واحتسبوه عند ربهم؛ لأنهم يعلمون أن هناك الأجر مضاعف.. إن كنتم أنتم لا تفعلون مثلهم وتتداولون العلم كسلعة وكعملة في الدنيا، فماذا تنتظرون من الثواب في الآخرة عليه؟ إنكم تصدرونه في الدنيا للدنيا لا للآخرة.. لن تستوردوا إلا بعض المال يسد رمق روحكم الجائعة والمتعطشة للمال.

سأخبركم ما يجلبه العلم لصاحبه غير المال: العلم يجلب لصاحبه روحًا جميلة خلاَّقة، يجلب روحًا محبة لعالم الأرواح لا لعالم المادة. فما

بالكم أنتم وجُل هدفكم منه عالم المادة؟! حقيقة أستنتج من ذلك أنكم لا تُصدرون علمًا للناس؛ بل تصدرون سفاهة وإن تزيت بزي العلم.. تصدرون زراية تزري بكم إلى وهدة القبح والتسفيه. نحن وغيرنا لا نطلب المنح بالمجان؛ بل نطلب القسط والميزان في الحساب، إن كنتم تُجيدون الحساب.

الفتاة الفضولية والشاب الفاضل

كانت فضولية لأنها تحبه.. مولعة أن تعرف كل تحركاته وأصدقائه. كان لا يحبها لأنها لم تظهر أمامه من قبل ولم تره ما يميزها عن غيرها، لكنها كانت ترى فيه الغموض والتألق.. كأنه لوحة فنية تبلغ قيمتها ملايين الدولارات، هادئة من الخارج لكن عظمتها تبدو في ذاتها.

ذات مرة اقتفت أثره في الطريق، كانت تبعد عنه أمتارًا معدودة.. ذلك البعد كان مناسبًا فمكنها من أن ترى لون شرابه البني وإن لم تشم برفانه الجميل مع أنها تعرف نوعه..

لقد كونت ذاكرة حديدة عن ملابسه ولون الشرابات التي يرتديها وعدد أحذيته، ونظارته التي قد عرفت مقاسها ومقدار ضعف نظره... كانت تلوم نفسها أنها لم تعرف عنه معلومات كافية!

ذلك حدا بها أن تتبعه هذه المرة وتقترب منه أكثر، وترضي فضولها اللانهائي... رأته يتوجه إلى مكتبة ليشتري بعضًا من الكتب.. راقبته جيدًا وانتظرت قليلًا ريثما دخل ودلفت هي الأخرى للداخل..

كانت المكتبة واسعة كمكتبة بوسطن أو كامبريدج، تلك المكتبات التي تشبه ملعب الكامبينو في مدرجاته.. إلا أن صفوف الكتب كانت مرصوصة ومرقمة جيدًا وتشكلت المكتبة على شكل ردهات وممرات.. وكان هو في أحد تلك الممرات ينظر في الكتب وينتقل من رف إلى آخر.

وجدته وقف مليًّا أمام رف معين، وأخرج كتابًا ما.. كانت تراقبه من مسافة أمتار وهي تجلس على منضدة وتمثل أنها تقرأ كتابًا لكنها كانت تقرأ وجهه وكل تفاصيله.. ثار فضولها وتحركت إلى الممر الخلفي لرف الكتب الذي يقف أمامه..

كانت هناك مسام بين الكتب وبعضها، أتاح لها أن تنظر إلى وجهه واسم الكتاب الذي يقرأه.. توقعت أن هذا الغامض ربما يطالع كتابًا ثقيلًا في الفلسفة كعادته ككتب كانت وسارتر وغيرهم.. إلا أنها صدمت وأغمي عليها، لم يفسر العلم والأطباء سبب الصدمة والإغماءة... لكن اسم الكتاب قد فسر كل ذلك... "كيف تجعل فتاة تحبك؟"

❋ ❋ ❋

قيمتنا بعد الموت

"إذا أردت أن ترى ما يحدث بعد موتك فانظر ماذا حدث بعد موت غيرك"

إننا ننظر أحيانًا إلى هذا الكم من القبور وهؤلاء الآلاف من الموتى المدفونين في التراب. لا نراهم أجسادًا كاملة مثل الأحياء؛ بل هم عظام لا تتبين هوية أحد منها، إلا من مكانه المميز. ولو أننا خلطنا كل هذه العظام لعجزنا عن معرفة هوية أي شخص وتفكيره وسلوكه وخلقه. يتساوى في هذا المقام الرفيع والداني، العظيم والتافه، العالم والجاهل.

لكن في الجانب الآخر هناك أرواح كانت قد تجسدت هؤلاء، وجنوا على هذه الأرواح ما جنوا من الأفكار الشائنة القبيحة إلى الأفكار الحسنة الجميلة، ونحن البشر ميزاننا الصحيح لهؤلاء هو مدى رفعة الروح في النهاية.

لقد تجسدت أرواح العظماء والحكماء والعلماء بعد موتهم، ليس في جسدهم؛ بل في ما قدموه من خير. ويظل هذا الخير شاهدًا إلى الأبد أن هناك روحًا جميلة فعلته. ولا يتصور الشخص هذا الخير تافهًا وصغيرًا وليست له قيمة إلا من فقد قيمته، وخصوصًا فقد معنى حياته.

❋ ❋ ❋

إليها

أكتب إليكِ مجددًا..

لطالما كنا معًا، في الشدة والرخاء، والضحك والبكاء. كانت ظلال الحب تجمعنا وتضمنا ضمًّا ودودًا محببًا.. لم نعتدْ أن نبتعد.. كنا قريبين جدًّا، متآلفين ملتصقين كجذر وساق.. كنا نبتسم معًا، وتلهج ألسنتنا بالحب والحبور.. انضممنا في وقت كنا أحوج فيه للقاء، ونفوسنا كانت أحوج للحب.. ورويدًا رويدًا كنا نقترب.. من النهاية، من الختام..

في الحقيقة أنا لا أدري ماذا حدث. كيف انتهى كل هذا في دقائق وانقضى، كشعاع ضوء لاح في أفق كئيب وأضاءه ثم اختفى؟ كأنه حلم! كأن ما حدث لم نره ونبصره عيانًا، حدث في الخفاء المحض.. في بؤرة اللاشعور..

لقد سيطر عليَّ جاثوم الأماني منذ زمن، لكنه اعتصرني عندما نسجت من الحب أعشاشًا وبيوتًا.. كان قلبي يحلم كل حين ويُرَوِّي من

وطأة الهموم، أحببت أن أنسى بعض ما آلمني به الحب... فكنت أحلم.. وأقول لعل غدًا أفضل.. آه من غدٍ البعيد.. لم أدر أن الغد سيأتي لكن بلا حب، وبلا لقاء..

لا أقدر على نسيان الماضي عندما أمسك رسائلي وأفتش في ذكرياتنا.. كنت أقرأها وأنا معك بلهفة وشوق، بحب وجنون.. أما الآن فقد أحال فراقنا كل الذكريات وهذي الرسائل إلى شجون، أصبحت قبورًا دفنَّا فيها قطعًا من أرواحنا. كم يتغير كل شيء لتغيرنا، فيصبح الحلو مرًّا، واللقاء فراقًا.

بالتأكيد سنحيا ونضمد جراحاتنا، لكن ألن تترك أثرًا؟ إننا نكوي الجرح ليندمل، وأثر الكيِّ يبقى.. فما بالك لو كان جرحًا عميقًا في القلب، أيختفي؟ إننا نهين القلب إذا قلنا سيختفي.. يقولون سننسى، فهل سننسى فعلًا؟ ربما.

هذه الحروف كانت من ثنايا الروح ومن خلجات الشعور.. تدفقت حتى توفر بعض الدموع، فكلماتي ودموعي يتناوبان التعبير.. إذا حزنت

ولم أبك سأكتب، وإذا بكيت فالكتابة تصبح كالمطافئ عندما تأتي بعدما ينتهي الحريق.

هذا والسلام.

الفهرس

إهداء 5

مقدمة 6

لماذا اخترت الوحدة؟ 7

أفكارٌ حول السعادة 11

الشعور بالسعادة 17

أفكار حول عملية الكتابة 19

العقاد وفن التعامل مع الكتاب 24

أعمارنا وعقولنا 32

الشحُّ الروحي 34

عقال العقل هو القلب! 36

واختبأَتْ تحت العجلة 37

التشويش.. 42

"هامِوّتك..." 45

عصر الغواية 49

ما يسوء حاضرنا.. 52

المستقبل في زيِّ الحاضر..... 55

هات يدك لأدخلك جهنم! 59

الحياة تلك العجيبة! 62

العبثية 66

عصر التكنولوجيا 69

ماذا يعني الحب؟..... 73

رأيٌ في الحب 78

(السناجل) يقرؤون شعر الحب!..... 79

الصديق تناسق روحي 83

طباعُ النفوس تتباين.. حتى في الحب 86

النظرية والواقع 88

العقائد شُعَلُ المجد..... 91

الافتتاح العظيم لقناة السويس ١٨٦٩ م 94

التاريخ حياة للحياة..... 98

توديع الشتاء..... 101

قيمتنا في أحزاننا..... 102

كأس الحياة..... 103

الفلسفة للمتخصصين 104

مجتمع تعلَّم الأزورار..... 105

ستيفن هوكينج ملحدًا.....106

البلاغة والناس 108

سقم العقول.....110

الفتاة الفضولية والشاب الفاضل 112

قيمتنا بعد الموت 114

إليها.....116

❋ ❋ ❋